حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com
دورية تصدر كل شهرين
السنة السابعة عشرة / (سبتمبر - أكتوبر) ٢٠٢١
86
Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary |September - October 2021

دائرة الزمان

كل يشير على هواه والله أعلم بالنجاه
لكن دائرة الزمان تدور في كل اتجاه
عما قريب ينجلي أمر الحياة لمن يراه

٢ الدنيا وما فيها من منظور المسلم-٢/ **فتح الله كولن**
١٦ معلم مبدع تعليم ناجح **أ.د. بركات محمد مراد**
٤٣ النباتات ومشاعرها التفاعلية **د. محمد السقا عيد**

الأمانة الثقيلة

تحتفل مجلة حراء مع عددها السادس والثمانين بعامها السابع عشر.. منذ سبعة عشر عامًا والقائمون عليها يحملون على أكتافهم هذه الأمانة الثقيلة؛ لتواصل حراء في إنتاجها المعرفي الغزير وتجربتها الثرية، ومن ثم تضيف إلى المعارف السابقة معارف جديدة، وتعمق الرؤية إلى الحياة.. نعم، يحملون هذه الأمانة وفاءً لكتَّابها من مختلف الجنسيات واللغات، الذين يتمتعون برؤية فكرية إصلاحية بناءة تعمل على الأخذ بيد كل إنسان يعيش على تربة هذه الأرض.

أما في هذا العدد فتطل علينا حراء بمجموعة من المقالات المنتقاة بعناية، وفي مقدمتها مقال الأستاذ فتح الله كولن المعنون بـ "الدنيا وما فيها من منظور المسلم-٢"؛ حيث يأخذنا الأستاذ فتح الله كولن في مقاله هذا، لننظر إلى الكون بعين الإيمان لنشعر بكل الوجود وكأنه قلب عميق نابض بالمشاعر، ثم يحلّق بنا نحو الغاية الأسمى للإنسان وما يجب أن نكون عليه من تناغم وانسجام بين طبيعتنا وبين جماليات أركان الإيمان والإسلام.

ويأخذنا "نبيل سليم" برحلة في حديقة العلوم، ليحدّثنا عن الإبداعات الفنية بالتشكيلات الجرثومية والفطريات والميكروبات.. ويردف ذلك "ناصر أحمد سنه" بمقاله عن التكنولوجيا، ليجيبنا عن التساؤل الدائم: "التكنولوجيا: ضرورة أم ترف؟!".. إلى أن يصطحبنا "محمد السقا عيد" بنزهة فكرية مع النباتات بمقاله الذي جاء بعنوان "النباتات ومشاعرها التفاعلية".. ثم نجد مع "هبة مهران"، "مفاهيم جديدة لعلاج الاكتئاب".

وفي المقالات الفكرية نجد "محمد عباس المغني" يحدثنا عن "الآفاق المستقبلية للتجديد"، و"سمير فريدي" يتحدث عن "الآمرية الإلهية في المنظور الائتماني"، أما "محمد لخضر حرز الله" ومعه "عبد الحميد محمد الراوي"، فإنهما يخوضان غمار القرآن الكريم ليأتيا منه بأمتع الفوائد وأنفعها.

ويتحفنا "بركات محمد مراد" في مقاله التربوي ليتحدث عن نجاح التعليم بإبداع المدرسين.. ثم يرشدنا "سليمان أحمد شيخ سليمان" إلى كيفية تكوين أسرة سليمة عبر مقاله "الأسرة.. البناء والمقوّمات".. ثم يأخذنا "خالد صلاح حنفي محمود" إلى علم النفس الإيجابي، ويشرح لنا سعادة الأطفال، إلى أن نطالعَ جوهر السعادة في مقال "خلف أحمد أبو زيد".

وبما أن الأدب في الكلام كالملح في الطعام، فإن ملحَ هذا العدد جاء من "أحمد تمام سليمان" في مقاله "لحظات الحاضر مقدار ما نملك"، التي حثّنا من خلالها على استثمار لحظة الحاضر وإن بدت شفيفة.. ليأتي هذا العدد مختومًا بخاتم الشاعر الحادي "العربي السيد عمران"، في قصيدته "قلب النور" التي يستنهض فيها الهمّة، ويكفكف من خلالها دموع البائسين المفزوعين.

وبمناسبة العام السابع عشر، تتقدم أسرة مجلة حراء إلى قرائها الأعزاء الأوفياء، الذين أجادوا فن السير على درب العلم والمعرفة، ببالغ الشكر وعميق الامتنان.

والله ولي التوفيق.■

المحتويات

الدنيا وما فيها من منظور المسلم–٢ / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
إبداعات فنية بتشكيلات جرثومية / أ.د. نبيل سليم (علوم)	٥
الآفاق المستقبلية للتجديد / أ.د. محمد عباس المغني (قضايا فكرية)	٩
الآمرية الإلهية في المنظور الائتماني / سمير فريدي (قضايا فكرية)	١٣
معلم مبدع تعليم ناجح / أ.د. بركات محمد مراد (تربية)	١٦
التكنولوجيا ضرورة أم ترف؟ / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٢٠
الأسرة.. البناء والمقومات / سليمان أحمد شيخ سليمان (تربية)	٢٤
نظرات قرآنية في إصلاح النفس البشرية / د. محمد لخضر حرز الله (قضايا فكرية)	٢٨
غاية الإنسان الأسمى / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
لحظات الحاضر مقدار ما نملك / د. أحمد تمام سليمان (أدب)	٣٤
القرآن في بناء الحضارات / عبد الحميد محمد الراوي (قضايا فكرية)	٣٧
كيمياء الجمال بين المادية والروحية / د. خالد راتب (أدب)	٤١
النباتات ومشاعرها التفاعلية / د. محمد السقا عيد (علوم)	٤٣
جهازنا المناعي وإستراتيجياته الدفاعية / بريان ترك (علوم)	٤٧
علم النفس الإيجابي وسعادة الطفل / د. خالد صلاح حنفي محمود (تربية)	٥١
مفاهيم جديدة لعلاج الاكتئاب / د. هبة مهران (علوم)	٥٥
الإنسان وجوهر السعادة / خلف أحمد أبو زيد (تربية)	٥٩
قلب النور / العربي السيد عمران (شعر)	٦٣

الدنيا وما فيها
من منظور المسلم-٢

إن كل الأشياء الحية وغير الحية لهي في تناغم وانتظام وانسجام، بحيث إننا حين نشاهدها نردد فيما بيننا وبين أنفسنا: تُرى هل لهذه الأشياء -على حسب أنواعها- أرواحٌ ينجُم منها هذا التناسب والانتظام على غرار أرواحنا؟!

وسواء كان لها أرواح مثل أرواح الملائكة الموكَّلة أوْ لا، فإننا كلما أمعنا النظر فيها نلاحظ ما بين أجناسها وأنواعها، وما بيننا وبينها من العلاقة المتينة وكأنها تريد أن تقول لنا

شيئًا، ونستمع إلى نغماتها الصامتة التي هي أشد تأثيرًا وسحرًا من أحلى أنواع الموسيقى، ونحبس أنفاسنا تجاه سكوتها الهادف الذي هو أعمق من المحاورات العميقة، ونُخفِت أصواتنا كما لو أننا نلتزم الصمت عند طفل نائم نخشى عليه من الاستيقاظ، ونُطلِق ما نحس ونشعر به إلى ساحة الملاحظات الصافية التي لم تُمَرَّر عبر فلاتر العقل والمنطق والمحاكمة العقلية، فيتحولُ كلُّ جسم في مخيلتنا إلى قارئ ومغنٍّ ومنشد، ويتحدث لنا عن أمور سحرية بالغة في الإغراب، فبينما تتجسم بعض الأشياء في خيالنا وكأنها ذلك المولوي الذي يدور في مجلس الذكر وحلقاتِ السماع؛ يلَقِّنُنا البعضُ الآخر فصولًا من الإيقاع وكأنه موسيقار يتنقل بين الألحان، وبعضها الآخر وَضَعَ على شفتيه الناي فأخذ يقدِّم لأرواحنا ألحانًا حارقة تختصر قصص أيامنا البائسة الحزينة، بينما يُسْمِعنا البعضُ الآخر أناشيدَ مدوّيةً بلا ألحان ولا كلمات -وكأنه فريق المَهْتَران- حول أيامنا المجيدة التي كنا نعبر فيها للعالم عن أفكارنا وعن أنفسنا.

إن كل جسم جامد لا بد وأنه يُخبرنا بمختلف الإيماءات والإشارات عن أشياءَ حول موقعه ومكانته وموقفه ونوعه، ونحن بدورنا نحاول الاستماع إليه وحلَّ لغزه وتفسيرَه وإدراكَ أسراره وكأنها أسرارنا، ونحاور جميع الأجسام، ونحبها كلها، ونعانقها كما نعانق أحبابنا.

أجل، إن كل جسم جامد لا بد وأنه يُخبرنا بمختلف الإيماءات والإشارات عن أشياءَ حول موقعه ومكانته وموقفه ونوعه، ونحن بدورنا نحاول الاستماع إليه وحلَّ لغزه وتفسيرَه وإدراكَ أسراره وكأنها أسرارنا، ونحاور جميع الأجسام، ونحبها كلها، ونربِّت عليها، ونعانقها كما نعانق أحبابنا، أو نُلقي بأنفسنا في أحضانها الدافئة الحنونة.

والحق أننا حينما ننظر بعين الإيمان يتراءى لنا كل الوجود والأحداث وكأننا قد عرفناها وأَلِفْنَاها، ونَشعُر بالقرب منها وكأنها من أحد أحبابنا وأصدقائنا، فننظر إلى وجوهها بالشفقة، ونقرأ في سيماها شفقةً نحو الجميع، فنحمد خالقنا ببالغ الحمد والثناء.

وقد يبدو بعضها في أول نظرة، عابسة الوجه، فظةً غليظةً ومنقبضةً بعض الشيء، ولكننا إذا صححنا نظرتنا من خلال ربطها بالإيمان فسرعان ما تتغير تلك الوجوه أيضًا وتَلينُ فتصبحُ أنيسةً ومحبّبة.

وبعضها الآخر يقابل الجميع بطلاقةٍ ورحابة كشأن الأشخاص الباسمين دائمًا، وتلقاهم بتصرفاتٍ ودودة، وأحضانها منفتحة للجميع، وإذا أردت الحوار معها فيكفيك إلقاء نظرة واحدة نحوها، فما إن تَلتفتُ إليها حتى تنفتح لك وتصارحك بما يدور في ضميرها.

وبعضها الآخر طافح بالفرح والسرور مثل الأطفال الذين يلعبون ويمرحون ويوزِّعون نظراتهم على مَن حولهم بوجوه باسمة، بحيث إنها تبثُّ في من حولها أجواءَ من يعيش منتزه الأطفال.

وبعضها الآخر مرصَّعٌ من رأسه إلى أخمصه بباهر الحلي والمجوهرات، بحيث إن من يعايشه يقضي معه أوقاتًا سعيدةً قَلَّما تُنْسَى، وكأنه يقول له: "إلى اللقاء في موعد جديد".

وبعضها الآخر يُحسن ضيافتنا ويُعامِلنا ببالغ الكرم ويَبسُطُ أمامنا موائدَ ضيافةٍ سخيةً تَفُوق حدودَ توقعاتنا بكثير، ولا يُريد منا أصلًا أن نفارق محيطَه.

وبعضها: قد لا يكون كلَّ حين حلوًا ودافئًا بالكلّية، لكنه إن كان قد أَدْمَى أصابعكم بأشواكه، فإنه يحاول جاهدًا أن يُناوِلَكم واحدةً من وروده.

أجل، إن كل الكائنات الحية وغير الحية التي تَعَرَّفْنا عليها أو لم نتعرف؛ تُقَابِلُنا بنوع من التعظيم يُشْبِه ما قامت به الملائكة تجاه النبي آدم عليه السلام من سجودِ التكريم، كما أنها بما تنطوي عليها من الفوائد والمصالح تبدو وكأنها مستعدة لتلبية كل أوامرنا، وتبثُّ عشراتٍ من أسرارها أمام عقولنا.

إن لُحمةَ كل من هذه الأمور وسداها ونقشها لهي خليطٌ من المادة والمعنى يَفُوقُ حدودَ مَداركنا بكثير، وكلٌّ منها أَمارة وإشارة نستدل بها على خالقنا بقدر ما نتمتع به من الإيمان والإذعان، كما أنها تدل عليه وتُلمِح إليه وتتحدث عنه على الدوام، وهذه الحال منها تجعلك وأنت تتنقل فيما بينها تتخيل أنك تتجول بين سفوح الجنان، بحيث إننا حينما نشاهدها ونحن عارفون بخصائصها نصبح وكأن مشاعرنا تتمازج بالطبيعة ويتلون كل شيء بصبغة الأسماء والصفات الإلهية، ويتحول كل الوجود إلى أمر معنوي وقصيدةٍ نسمع دويَّ ألحانها وننتشي منها، ويزيد كلُّ ما نشاهده عمقًا ونورانيةً وسحريةً تذهل الألباب، حتى إن كل ما نراه من المظاهر سرعان ما يتحول بهذه السحرية إلى كائن أخروي، وتتراءى لنا الأرض وكأنها انعكاس للجنة، وكأن جميع السماوات نزلت بكل روعتها وأُبَّهتها إلى الأرض.

وهذه السحرية تجعلنا أيضًا نَشعر بكل الوجود وكأنه قلبٌ عميق نابض بالمشاعر، ونصبح ونحن سائرون في طريق الحياة وكأننا لا نسير نحو مكان مادي ودنيوي، بل نتوجه في سيرنا نحو الأبدية والسعادة السرمدية إلى عالَم مختلف لم نزل نَشعُر بتأثيره في قلوبنا وبتفوُّقِ قطرةٍ واحدةٍ من قطرات بحر سعادته على جميع سعادات الدنيا، ونحس في أرواحنا بما يحس به الواصلون، ونترنم بما يقوله أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾(فاطر: ٣٤-٣٥).

وإلى جانب هذه الروعة والنفاسة والهيئة الفردوسية هناك وجه آخر للدنيا ناظرٌ إلى أهوائنا ورغباتنا النفسانية، وهي بوجهها هذا قَذِرةٌ وقبيحةٌ ومذمومةٌ وملعونة، ولكننا في مقالنا هذا لم نتعرض لهذا الوجه ولا نود التعرض له أصلًا، حيث كنا قد وعدنا قراءنا في بداية حديثنا أننا سنواصل الكلام مرتبطًا بأفق المؤمن، وإذا نظرنا من ذلك الأفق فسنلاحظ أن الدنيا مطابِقة للإطار الذي رسمناه في هذا المقال. ■

---

(٥) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:٢٩٩ (ديسمبر ٢٠٠٣)، تحت عنوان "Müslüman Ufkundan Dünya ve İçindekiler". الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

أ.د. نبيل سليم*

إبداعـــات فنيـــة بتشكيلات جرثومية

سمعنا كثيرًا عن الفطريات الملونة (السوداء والصفراء والبيضاء) وغيرها من الميكروبات والجراثيم الملونة، لذا دأبت "الجمعية الأمريكية لعلم الأحياء الدقيقة" منذ عام ٢٠١٥ على تنظيم "مسابقة الآجار الفنية" سنويًّا؛ لإلقاء الضوء على هذا التقاطع بين العلم والفن، بدمج مكونات مثل الآجار ثلاثي الأبعاد مع الأبواغ وأنواع شتى من الكائنات الحية.. فقامت بتنظيم هذه المسابقة للفن الجرثومي بعد انتشار صورة لشجرة عيد الميلاد صنعتها "روزيتسا تاشكوفا" في عام ٢٠١٤، وطبع منها ٢٠١٥, ٨٥ نسخة بناء على طلب الناس.

عند النظر عن كثب إلى طبق بِتْري يُستَخدم لصناعة الجراثيم في المختبرات، تبدو البقع القرمزية كنقاط ملونة من الحبر تفصل بينها مسافات محددة بدقة لكن دون ترتيب معين، وإذا أمعنت النظر في المناطق الفاتحة والداكنة، ستتضح أمام ناظريك الصورة الشهيرة لـ"ألبرت أينشتاين" وهو يخرج لسانه.

كانت هذه واحدة من أوائل "الصور الجرثومية" التي قام "زخاري كوبفر" بصنعها -وهو عالم جراثيم تحول إلى فنان- مستخدمًا أسلوبه الذي تقدم به للحصول على براءة اختراع، والتمثل في صنع لوحات فنية "حية" بمساعدة المستعمرات البكتيرية.

إن الجراثيم تحيط بنا طوال الوقت، لكن جلّها لا يُرى بالعين المجردة إلا في فن الآجار -وهو مادة هلامية مستخلَصة من الأعشاب البحرية- الذي يكشف عن هذا العالم غير المرئي. حيث تقول الباحثة العلمية والفنانة "لونتوك"، إنه يبرز "جمال الجراثيم وتنوعها"، ولا يحظى سوى باهتمام قليل في كثير من الأحيان.

بإطلالة تاريخية؛ حدث في ثمانينيات القرن التاسع عشر أنْ ارتأت "أنجيلينا هيس" -وكانت مساعدة مختبر وطاهية- أنّ بالإمكان استخدام أحد العناصر التي تدخل في صنع حلويات الهلام و"البودنج"، في زراعة البكتيريا. وقد تمكنت "هيس" من استثمار الآجار لذلك الغرض، فأحدثت ثورة في علم الأحياء المجهرية، ومهدت الطريق لشكل فني جديد.

في المختبر، يُخلط الآجار مع عناصر غذائية أخرى، ثم يُسخّن الخليط من أجل تعقيمه قبل أن يُصَب في أطباق ضحلة، وعندما يبرد يتكثف ليتحول إلى سطح أملس شبه صلب تنمو عليه البكتيريا.

وقد اشتهر العالم "ألكسندر فلمنج" الذي له الفضل في اكتشاف البنسلين، بإبداعِ وعملِ لوحات جرثومية رائعة لم تكتشف إلا فيما بعد. كما قام الباحث "ناثان شانر" بعمل فني ميكروبي في عام ٢٠٠٦ في مختبره، باستخدام البروتين الفلورسنتي الأخضر لمشهد شاطئ سان دييجو.

ويعود الفضل في صنع فن الجراثيم، إلى "محمد بيركمين" و"ماريا بينيل" اللذَين عملا معًا منذ عام ٢٠١١ لإنشاء الفن الجرثومي. هذا العمل الفني الذي استخدم اللون الأصفر المتمثل في جراثيم النيسترينكونيا مع اللون البرتقالي المستخدم في المكورة الغريبة والسينجوموناس، وهي جنس من البكتيريا تتبع فصيلة المكورات الغريبة.

صلة الفوتوغرافيا بالبكتيريا

بعد مرور أكثر من قرن على إنجاز "هيس"، لا يزال الآجار في صلب الزراعة البكتيرية، بل أصبح أيضًا قماشة رسم غير تقليدية لعرض الكائنات المجهرية بكل توهجها البادي للعيان.

وبالتالي تقوم بعض الجراثيم بإنشاء اللون بشكل طبيعي، فمثلاً تتخذ أنواع مختلفة من البكتيريا المتسلسلة -التي تنتج العديد من مضاداتنا الحيوية- شكلَ أصباغ تتباين درجاتها من الأحمر والأزرق إلى الأسود. واللون الطبيعي للإشريكية القولونية أو الأنتميبا كولاي، هو البيج، لكن المورّثات التي تدخل على الجسم، يمكن أن تجعلها أو تجعل الجراثيم الأخرى، تشع بدرجات فاتحة من اللون الزهري والأخضر والأزرق.

لا تظهر الجراثيم عندما توضع في الآجار للوهلة الأولى، لكنها تتكاثر مع مرور الوقت لتكشف عن الأنماط والألوان.

كان "زخالاي كوبفر"، بعد دراسته البيولوجيا في

hiragate.com

جامعة كنتاكي الشمالية، قد حصل على وظيفة في أحد مختبرات ضمان الجودة، لكنه غير مساره الوظيفي عندما أدى العمل اليومي الشاق في مختبرات العلوم الصناعية إلى خنق فضوله العلمي.

وبعد أن قام بالتسجيل في جامعة سينسيناتي للحصول على ماجستير الفنون الجميلة عام٢٠١٠، ظن "كوبفر" أنه سيستعيد حماسه من خلال التركيز على واحدة من هواياته وهي التصوير الفوتوغرافي.

بدأ "كوبفر" دراسته بنيّة أن يصبح مصورًا فوتوغرافيًا، بل ومتخصصًا في تصوير البنى المعمارية.. كانت صوره رائعة من الناحية الفنية، لكنها فاترة نسبيًا كما تقول المشرفة على برنامج الفنون الجميلة بجامعة سينسيناتي. بيد أن تفوقه الحقيقي لم يظهر إلا عندما أدرك أنه يمكنه الدمج بين مجالي اهتمامه معًا، أي التصوير الفوتوغرافي وعلم الجراثيم.

في أغسطس٢٠١١، وفي منتصف الطريق لإتمام برنامج الماجستير، أدرك "كوبفر" وجود صلة بين التصوير الفوتوغرافي ونمو البكتيريا؛ فعملية تحميض الفيلم ذكرته بتجربة أجراها في المختبر، حيث قام بتشعيع البكتيريا النامية على طبق من الآجار المحمل بالمغذيات.

طبق العفن قماشة رسم

بناء على نصيحة خطيبته التي كانت طالبة دراسات عليا في مجال العلوم، قام "كوبفر" بالاتصال بخبيرة البيولوجيا في جامعة سينسيناتي "تريزا كولي" التي رحبت به في مختبرها.. ولأنها تنتمي إلى عائلة فنية تثمن الإبداع لدى طلابها الذين يدرسون العلوم، رأت في "كوبفر" طالبًا في مجال الفن، يحاول أن ينظر إلى الكون من وجهة نظر فنية، وذلك باستخدام العلوم.

زودته "كولي" بمكان لإجراء تجاربه، وبعض المعدات الأساسية، ومفاتيح المختبر. وقد حصل طالب الفنون على منحة صغيرة من الجامعة، لتغطية ما تبقى من المستلزمات. وأثناء انهماك زملائه في الاستديوهات بحثًا عن مشاريع فنية يحققون فيها ذواتهم، صار "كوبفر" عضوًا منتظمًا في مختبر "كولي"، لكن رغم استعداداته، واجه التحدي المتمثل في تطوير شكل فني جديد تمامًا باستخدام الكائنات الحية.

إن الفن الميكروبي أو فن الغراء أو فن الآجار أو فن الجرثومة، تم إنشاؤه عن طريق استنبات الكائنات الحية الدقيقة في أنماط معينة، ويمكن أن تكون الميكروبات المستخدمة، عبارة عن بكتيريا أو فطريات الخميرة أو الطلاعيات (مجموعة غير متجانسة "متغايرة" من الكائنات الحية)، ويمكن اختيار الميكروبات بألوانها الطبيعية، أو هندستها وصبغها ببروتينات الفلورسنت ومشاهدتها تحت الأشعة فوق البنفسجية، لجعلها تتألق لونيًا.

هذا وتستخدم أطباق الآجار كقماشة رسم، بينما تمثل البكتيريا والخميرة المصطبغة أو الفلورية الطلاء، من أجل الحفاظ على قطعة من الفن الميكروبي.. وبعد حضانة كافية يتم ختم مزرعة الميكروبات بالإيبوكسي أو اختيار أنواع الميكروبات بألوانها الطبيعية، لتشكيل لوحة للأعمال الفنية.

إن أنواع البكتيريا بألوانها تشمل "العصوية الرقيقة" ولونها كريمي إلى بني، و"كروموباكتريوم فيولاسيوم" ولونها بنفسجي، و"الإشريكية القولونية" ولونها بيج أو عديمة اللون أحيانًا، و"المكورة الدقيقة الصفراء" ولونها أصفر، و"المكورة الوردية" ولونها وردي، و"الزائفة المتألقة" ولونها أزرق مخضر، و"المكورة العنقودية

الذهبية" ولونها أصفر، و"البكتيريا الواوية" ولها إضاءة حيوية.

وهناك أنواع من الخمائر تعد فطريات، مثل "المبيضة البيضاء" لونها برتقالي إلى أبيض، وكذلك أنواع أخرى من الجراثيم الطلائعية، مثل "فيزاروم بوليسي فالوم" وهي عفن غروي لونه أصفر وأخضر.

جسر بين العلم والفن

يعترف "كوبفر" أنه مر بمرحلة طويلة من التجربة والخطأ، وبعد التخلي عن المزارع الجرثومية التي تستزرع فيها الخميرة والطحالب، تحول إلى العمود الفقري للمختبرات، أي جرثومة الإشريكية القولونية أو الإنتاميبا كولاي، إضافة إلى البكتيريا الحمراء المعروفة باسم السيراتية الذابلة.

بعد شهور من التغيير والتبديل والضبط، أتقن "كوبفر" طريقته الجديدة -وهي إنماء مزرعة من البكتيريا- ثم نشرها بالتساوي على لوحة من الآجار وتغطيتها بفيلم فوتوغرافي سالب، ثم تعريض اللوحة للأشعة فوق البنفسجية لقتل البكتيريا الموجودة في المناطق الفاتحة، مع الحفاظ على حيوية تلك الموجودة في المناطق المظلمة، والسماح للبكتيريا المتبقية للنمو، ومن تثبيت البكتيريا بطبقة محكمة من مادة الأكليريك.

كانت أول صورة بكتيرية ناجحة عبارة عن دائرة مظللة بسيطة، وعندما نجحت طريقته -أخيرًا- صار "كوبفر" يصرخ ويتقافز في جميع أنحاء المختبر، بحيث يرى الجميع صورته الناجحة. وسرعان ما انتقل إلى العمل على صورة "أينشتاين"، ثم إلى صور غيره من العباقرة المبدعين، مثل "بابلو بيكاسو"، و"تشارلز داروين" و"ليوناردو دافينشي" وغيرهم.

خلال وقت قصير، أثنى العلماء على هذه الصور الفريدة من نوعها، لكن كان على بعض الفنانين والنقاد أن يتغلبوا أولاً على الشعور بالغثيان من جراء النظر إلى لوحة كبيرة من الجراثيم. و في هذا السياق يقول "كوبفر": "إن الناس يمتلكون هذا النوع من العلاقة ذات القطبين مع البكتيريا، فنحن نربط بينها وبين الموت، ومن ثم نتناول المضادات الحيوية بجنون، وبعد ذلك نتناول مكملات البروبيوتيك، أي نطعم أنفسنا البكتيريا طوعًا، لكنك لن تصاب بالمرض إذا نظرت إلى لوحة من جراثيم السيراتية، ورغم أن بعض الناس يخافون منها، فان البعض الآخر يندهش فحسب".

بعد حصوله على الماجستير، سعى "كوبفر" ليصبح مدرسًا للفنون، ليعمل على صنع قطع فنية تتسم فيها البكتيريا "بصوت أعلى" على حد قوله، وليستكشف أحدث مشروعاته الفنية والعلمية، وهي المجتمعات الميكروبية على وجوه الناس، وهي لوحة مجمعة يصفها بأنها زخرفة بيولوجية مجردة، لا تبالي باختلافاتنا البشرية الضئيلة.

ويأمل أن تجتذب أعماله المستقبلية، جمهور الفن التشكيلي في المعارض التي تركز على التقنيات المرئية والعمليات الفنية الفريدة. كما يأمل أن تسلط أعماله الضوء على الجسر بين العلم والفن، فيقول "إن هناك نظرية مفادها أن الفن والعلم يستخدمان جزأين مختلفين من الدماغ، ولكن أن تكون عالمًا جيدًا وفنانًا جيدًا، عليك أن تكون مبدعًا وأن تفكر خارج الصندوق. ■

(*) أستاذ جراحة التجميل المتفرغ والعميد الأسبق لكلية طب الإسكندرية / مصر.

المراجع

(1) "Petri Dish Artists", AAAS, 326 (5954): 777. 2020.

(2) Palermo, Elizabeth (2020). "Microbe Masterpieces: Scientists Create Cool Art from Bacteria".

(3) Dunn, Rob (11 July 2019). "Painting With Penicillin: Alexander Fleming's Germ Art.

(4) "Meet the Microbes". Microbial Art.

(5) Mole, Beth Marie (19 October 2018). "Bacteriography". The Scientist. LabX Media Group.

(6) Cressey, Daniel . "Roger Tsien's legacy: The creations that lit up biology". Nature. 2020.

(7) Tsang, Jennifer "This gorgeous art was made with a surprising substance: live bacteria". Science National Geographic. 2020.

(8) "Announcing the 2015 ASM Agar Art Winners". MicrobeWORLD. American Society for Microbiology.

hiragate.com

أ.د. محمد عباس المغني*

الآفاق المستقبلية للتجديد

يُعد التجديد في الفكر الإسلامي من أهم القضايا الفكرية المطروحة على الساحة المعاصرة في ظل ما يشهده العالم من تطورات متلاحقة، وانفتاح على ثقافات متنوعة أثرت على الفكر الإسلامي ودعاته بسبب التطورات الهائلة، والمتغيرات المتلاحقة، والحداثة الغربية، مما يُحتم على العلماء والمفكرين ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي، وذلك انطلاقًا من الدين والعقل والواقع، لمواكبة الحياة المعاصرة من ناحية، وللمساهمة في بناء ثقافة الإسلام وحضارته الخالدة من ناحية ثانية.

التجديد في الفكر الإسلامي يُعيد للأمة الإسلامية هويتها الدينية، ويربطها بماضيها الزاهر، ويعينها على مهمتها في الحاضر، ويجعلها تستشرف المستقبل القادم.

ويعني التجديد، الإحياء والبعث لما اندرس من الدين، وتنقيته من البدع والأساطير، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها. والتجديد الذي نعنيه هو "إحياء لما درس من آثار الدين، وإنعاش لما طُمس من معالم الشرع، وليس التجديد زيادة ولا نقصانًا في أصول الدين وفروعه، وليس تبديلاً ولا تغييرًا عن معالمه وشعائره، ولكنه إصلاح للأوضاع الفاسدة والأحوال السيئة، والرجوع بالمسلمين إلى قواعد الدين السليمة"[1].

والتجديد ليس إهمالاً أو تركًا لأصول الدين أو فروعه، وإنما هو إحياء له، وإظهار معالمه، وعمل على تطبيقه.. فالتجديد يستمد ذاتيته من أصل الدين. والتجديد يكون للفكر وليس للدين الإلهي، فالدين الإلهي ثابت لا يتجدد، إنما الذي يتجدد هو دين الأمة.

وأما الفكر الإسلامي، فيعني اجتهادات مفكري الإسلام في مختلف المسائل بالاستناد إلى أصول الإسلام الكلية بحسب ما فرضه عليهم القرآن والسنة من التفكير والنظر، وطلب الحقيقة في أمور الدين والفكر والحياة. وبالتالي التفكير هو عمل العقل في شيء ما بهدف الوصول إلى نتيجة فيه، أما الفكر فهو نتاج التفكير.

والفكر الإسلامي، هو نتاج عقول المسلمين المنضبط والمتفق مع مبادئ الإسلام عبر العصور المتلاحقة في ميادين الثقافة الإسلامية المختلفة، وقد اتسعت ميادينه فشملت العقيدة والشريعة والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والفن ..إلخ.

وعلى هذا، نفرق بين الفكر والإسلام. فالإسلام ثابت لا يتجدد باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، والفكر الإسلامي متغير يتجدد باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، مع المحافظة على مبادئه الثابتة التي لا تختلف ولا تتغير.

والتجديد في الفكر الإسلامي فريضة دينية قررتها نصوص الوحي المعصوم، وحتمية عقلية قررتها العقول السليمة، وضرورة حياتية وحقيقة واقعية، فرضتها ظروف الحياة المعاصرة، لأن مستجدات العصر الذي نعيشه، والقضايا التي تُفرض أو تُطرح علينا كثيرة ومتنوعة، وهي تتطلب منا أن نواكب -بتفكيرنا وأسلوبنا وأدواتنا وطريقة حوارنا- مسايرة العصر الذي نعيشه.

وعلى هذا، فالتجديد في الفكر الإسلامي، أصبح في زماننا فرض عين على العقول المسلمة، وهو يشمل مختلف العلوم وفروع الثقافة التي انبثقت من القرآن والسنة، وأصول هذه العلوم ومناهجها.

اتجاهات التجديد وتقويمها

في إطار طرحنا لقضية تجديد الفكر الإسلامي، نعرض لاتجاهات تجديد الفكر الإسلامي وبيان الموقف الصحيح منها، واتجاهات فهم قضية التجديد في الفكر الإسلامي متعددة لكنها تعود إلى اتجاهين:

الأول: اتجاه التجديد في الفكر الإسلامي مع الالتزام بضوابط التفكير الواردة بالقرآن والسنة، ويمثله مدرسة الإحياء والتجديد، يقول الدكتور محمد عمارة رحمه الله: "ولقد كانت مدرسة الإحياء والتجديد التي صاغ مناهجها وبلور معالمها فيلسوف الإسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغاني، والتي فصل معالم قسمات مشروعها التجديدي والنهضوي الأستاذ الإمام محمد عبده، وهي الإطار الفكري الذي شهد كوكبة من العلماء الذين نبغوا على امتداد بقاع العالم الإسلامي، والذين جاهدوا لتجديد الفكر الإسلامي كي تتجدد به حياة الأمة الإسلامية، من أمثال عبد الله النديم، ومحمد رشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، وعباس العقاد، ومحمد الغزالي، وعبد الحميد بن باديس، ومحمد بشير الإبراهيمي، وعلال الفاسي، ومحمد والطاهر بن عاشور، ومحمود شلتوت، ومالك بن نبي وغيرهم كثير.

وهؤلاء العلماء -بحق- قد صاغوا الحركة الفكرية صياغة جديدة، تتفق وروح الدين حتى أطلق عليهم "المجددون"، وتسميتهم بالمجددين لم يكن من فراغ، وإنما لقيامهم بكل ما من شأنه صلاح حال الإسلام والمسلمين.

وإذا كان التجديد قد مر على النحو الذي ذكرنا، وقد قام به الكثير من العلماء بعد صفوة خلق الله من الأنبياء، فإن الدعوة المعاصرة التي تدعو إلى هذا التجديد، متمثلة في المؤسسات الدينية والسياسية والاجتماعية، يجب أن تعي في التجديد الذي تريده الضوابط التي من شأنها ألا

hiragate.com

تخرج به عن المعنى الذي كانت من أجله دعوة الإسلام.

الثاني: الرغبة في تجديد الفكر الإسلامي مع عدم الالتزام بقواعد وضوابط التفكير: ومن زعماء هذا الاتجاه، المتأثرون بالفكر الغربي، وقد رد عليهم الأستاذ الدكتور محمد البهي في كتابه "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"[٢]، ومن زعماء الاتجاه الثاني أيضًا، الجماعات المسماة بالإسلامية، وهي كثيرة في الساحة الآن.. هذه الاتجاهات أغرقت لغة الخطاب بمفردات خاصة حاولت إضفاء شيء من الغموض على المقولات المطروحة، وحاول أصحابها تحوير مبادئ الإسلام؛ لتتفق مع الفكر الغربي المعاصر.

يقول الأستاذ الدكتور محمد كمال إمام رحمه الله: "إن التجديد لا يتعلق بالأصول الإسلامية، فالكتاب والسنة ليسا مجالاً للتجديد، ولا هما جزءًا من التراث، وينبغي أن يكون هذا واضحًا لمثقفينا؛ لأن افتراءً كبيرًا قد يحدث على الكتاب والسنة تحت مسمى التجديد، أو تحت مسمى أن التجديد يتعلق بالتراث، وأن هذا الأصل جزء من التراث.. وإن التجديد حتى وإن تعلق بالنظم، لا يتعلق بالنظم القطعية الإسلامية التي جاءت فيها النصوص القطعية الإسلامية، سواء كان نظام الحدود أو كان نظام المواريث أو غيره.. فالمساس بالنظم الأساسية القطعية الإسلامية لا يعد تجديدًا، وإنما هو تبديد للدين وللشريعة على السواء"[٣].

وهذا التحفظ يجب أن يوضع في عين الاعتبار، فقد يدخل تحت هذا المسمى أرباب الثقافات الضحلة، فيتخذون من ذلك مأربًا لأهدافهم فيضرون الفكر من حيث لا يدرون، فعندئذ يكون التجديد وبالاً على الأمة وليس من صالحها.

ضوابط وآليات التجديد

إذا كان التجديد في الفكر الإسلامي فريضة دينية، وحتمية عقلية، وضرورة حياتية، فإنه لا يتأتى التجديد في الفكر الإسلامي إلا في ضوء مجموعة من القواعد الهامة، والآليات التي تضبط عملية التجديد، ومن أهم هذه الضوابط:

• أن الذي يقوم بهذا التجديد إنما هم العلماء الذين

الإسلام قد تمت أركانه، وكمُل بنيانه قبل ملاقاة الرسول ﷺ لربه، أما الفكر الإسلامي فبنيانٌ قائم على أسس قوية، وهو قابل للإتمام حتى يبلغ عنان السماء، فتظل الدعوة لتجديد الفكر الإسلامي متكررة وقائمة، وهي لا تعني تجديد الدين، بل تعنى تجديد الفكر.

يتوفر لديهم أدوات الفهم الصحيح لأصول الإسلام من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والاجتهاد، والقياس، وما دار في فلكهما من الأصول والمصادر الأصلية للإسلام.

• وينبغي أن يُلم المجدد للفكر الإسلامي بمجموعة من الأفقاه التي تُعينه على التجديد كفقه الواقع، وفقه النوازل، وفقه المآلات، وفقه الأولويات، وفقه مقاصد الشريعة الإسلامية. وهذه الأفقاه هي مجال التطبيق العملي للإسلام تلبية لاحتياجات المجتمع المتجددة، وملاحقة لمتغيرات العصر المتوالية.

• أن يتصف المجدد بالعلم، والإخلاص، والفهم الدقيق، والرؤية الثاقبة لواقع الأمة وقضاياها، والاستفادة بما توصل إليه العلم الحديث في فهم النصوص الشرعية، وتوظيفها توظيفًا يتناسب مع العصر وحاجات الأمة.

• الاهتمام والعناية بالوقائع، والملابسات التي أحاطت بالنص الشرعي، وما يمكن أن تحدثه من متغيرات في الأحكام حسب الزمان والمكان.

• إعادة النظر في اجتهاد الفقهاء السابقين، وعدم نقلها برمتها إلى واقعنا المعاصر؛ لاختلاف الأزمنة والبيئات والأشخاص.

• أن التجديد لا ينال ثوابت الدين، إنما يكون في الوسائل والأساليب والآليات والفروع والجزيئات، لا الأصول والكليات؛ انطلاقًا من قاعدة مرونة الشريعة الإسلامية التي تقوم على إبراز مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال فتح باب الاجتهاد في استنباط الأحكام بلغة تناسب العصر، وتواكبه وتراعي المستجدات والمتغيرات.

hiragate.com

الآفاق المستقبلية لقضية التجديد

إن القضايا التي فُرضت على الساحة في عصرنا كثيرة، والواجب على علماء الأمة أن ينظروا إلى معالجة هذه القضايا ودراستها وتفنيدها والرد عليها من خلال دينهم وعقيدتهم، لا سيما وأن فكرنا الإسلامي ليس فكرًا جامدًا ولا جاحدًا لا يقبل الآخر أو يقف عند حد معين من القضايا القديمة وفقط، وإنما هو فكر يتسع لكل زمان ومكان، يقوم على التأمل والنظر في الكون وما فيه ومن فيه، ليعود بعد النظر والتفكير إلى كل ما من شأنه صلاح عقيدتنا وديننا، بل ودنيانا أيضًا.

ومن الأفاق المستقلة لقضية التجديد في الفكر الإسلامي:

ضرورة التركيز على الدراسات الواقعية، والحد من الدراسات الغيبية، والتركيز على قضايا غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وقضية حوار الحضارات، وثقافة السلام، وثقافة قبول الآخر.

التجديد فى قضية الأقليات المسلمة التي تجاوز عدد المسلمين فيها الملايين، وما يتعلق بهم من قضايا الإقامة، وممارسة الشرائع والشعائر، وفتاواهم.

قضية الاستنساخ والتي لم تظهر إلا في العصر الحديث إبان ثورة العلم، وما يتعلق بها من قضايا شائكة تحتاج لاجتهاد متكرر من العلماء والمفكرين .

قضايا نقل الأعضاء البشرية، واستئجار الأرحام، وما يتعلق بها من قضايا أخلاقية، ودينية، وعقدية.

قضايا الجهاد في سبيل الله وما يتعلق بها من ناحية المفهوم والتطبيق، والأعمال الفدائية، وعمليات التفجير، والاستشهاد وغيرها من القضايا التي تحتاج لبحث دقيق يواكب المستجدات الحديثة.

قضايا ومشكلات الأمية، والفقر، والجهل، والمرض، والتخلف، والهزيمة النفسية ومعالجتها، والتركيز عليها بالبحث والدراسة، وطرح الحلول القابلة للتنفيذ فيها.

قضايا علم الكلام ومناقشة الحرية في الإسلام كدين وعقيدة، ودراسة ظاهرة الغلو في الدين، وظاهرة العولمة وأثرها على العقيدة، وقضية الحداثة، كما يناقش قضية تاريخية الدين وقداسة النص الديني، والتجديد في الفكر السياسي، ومكانة الدفاع عن الأرض في درس العقيدة.

والحقيقة أن مناقشة هذه القضايا في ضوء الفكر الإسلامي، أمر هام. فقد أصبحت هذه الأفكار أمرًا واقعيًا، فهي قضايا معروضة أمامنا، وتتطلب من علماء المسلمين مناقشتها والرد عليها. وأن مناقشتها في ضوء فكرنا الإسلامي الذي يتسم بالاتزان والإحكام والانضباط ونبل الهدف، والدعوة إلى كل ما من شأنه صلاح الأمة في معاشها ومعادها، يجعل الأمة بحق "خير أمة أخرجت للناس".

وأخيرًا

إن الإسلام قد تمت أركانه، وكمُل بنيانه قبل ملاقاة الرسول ﷺ لربه، أما الفكر الإسلامي فبنيانٌ قائم على أسس قوية، وهو قابل للإتمام حتى يبلغ عنان السماء، فتظل الدعوة لتجديد الفكر الإسلامي متكررة وقائمة، وهي لا تعني تجديد الدين، بل تعنى تجديد الفكر.

ونؤكد بعد هذا البيان لقضية تجديد الفكر الإسلامي وأهميته وآفاقه وضوابطه، أنه لم يبق إلا أن تتعاون الجهود المخلصة من المفكرين ورجال الدعوة والإعلام والفكر، للتركيز على قضية التجديد قولاً وعملاً وتطبيقًا في واقع الحياة المعاصرة. ■

(*) أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر / مصر.

الهوامش

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، آدم عبد الله الآلوري، ص:٢٣٣، ط ثالثة، مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الدكتور محمد البهي، طبعة مكتبة وهبة.

(٣) تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف، سلسلة قضايا إسلامية، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد:٨٤، مقال الدكتور محمد كمال إمام، ص:٨١-٨٢ بتصرف.

hiragate.com

سمير فريدي*

الآمرية الإلهية
في المنظور الائتماني

تجعل التصورات الدهرانية علاقة الإله بالإنسان مبنية على التسلط من الخارج وقهر إرادة الإنسان، مما جعل أهل العقل المجرد من الدهرانيين ينكرون الآمرية الإلهية حتى يتحرروا من كل سلطة تقهر إرادتهم، فضلا عن مبادرتهم إلى إنكار الشاهدية الإلهية، واستبدال شاهدية الإله بشاهدية الإنسان، وهو ما يوجب إبراز الرؤية الائتمانية للآمرية الإلهية والشاهدية الإلهية.

ويهدف التصور الائتماني، إلى نقل الآمرية الإلهية من التصور الجلالي الذي يقيمها على مبدأ القهر الإلهي لإرادة الإنسان كما في الفقه الائتماري -أو الفقه المُلكي- وكما ساد بذلك الاعتقاد عند الفلاسفة الدهرانيين، إلى تصور آخر.. وهو التصور الجمالي الذي يقيمها على مبدأ الرحمة ويجعلها تابعة للشاهدية، وهذا ما يتقصده الفقه الائتماني أو الفقه الملكوتي.

إن الشاهدية تجمع بين الآمرية والراحمية، ومن ثم تُخرج الآمرية من التصور الجلالي القائم على الضيق والتشدد، إلى تصور جمالي قائم على السعة واللين، ومن ثم يجعل الأوامر الإلهية تتأسس على الرحمة وليس على القهر.

وهذا التصور الجمالي، يجعل الأوامر الإلهية تأتي في سياقين اثنين: سياق الاقتران بالرحمة الإلهية، وسياق الاقتران بالأسماء الحسنى، باعتبار أن كل حكم شرعي، موصول باسم أو أكثر من الأسماء الحسنى، وحامل لقيمة أو أكثر من القيم التي تنطوي في هذا الاسم أو هذه الأسماء الإلهية.

فإذا كان الدهرانيون ينظرون إلى الألوهية -وبالأخص الآمرية الإلهية- على أساس أنها تسلط قهري لإرادة الإنسان، مما جعلهم يستبدلونها بآمرية الإنسان، فإن المنظور الائتماني يرى أن الفقه الائتماري رسَّخ في الأذهان أن الألوهية تقوم على قهر الإرادة قهرًا كليًا، إلا أن بين المجالين التداوليين تمايزًا في الائتمار بها، حيث إن المجال التداولي الغربي استبدلها بآمرية أدنى منها، بينما في المجال التداولي الإسلامي تم إقرارها والاقتناع بها. إلا أن الفقه الائتماري ظل يصطبغ بصبغتين أساسيتين؛ هما الصبغة السمعية التي حددت مسار إنتاجيته، والصبغة الإيجابية التي حددت مصير إقناعيته، حيث تُشعر الأولى بأن البُعد هو الصفة المميزة لعلاقة الآمر بالمأمور، أي طرفي الأمر الفقهي، إذ الآمر يستغني بقوله عن مثوله ولا قُرب مع تعذر المثول، والمأمور يستغني بسمعه عن إبصاره ولا قرب مع تعذر الإبصار، مما جعل هذه العلاقة الفقهية علاقة ذات طابع ائتماري بين بعيدين.

ويظهر أن الفقه الائتماري ينظر إلى الآمرية الإلهية من جانبين اثنين؛ أحدهما جانب السمع، والثاني جانب الإيجاب، في حين يعيد الفقه الائتماني الاعتبار إلى البصر حتى لا يبقى الفقه مبنيًا على السمع وحده، ويعيد الاعتبار إلى الاختيار فيه حتى لا يبقى مبنيًا على الإيجاب وحده. ومن ثم فإن ازدواج السمع بالبصر والإيجاب بالتخيير، يمكن الفقه من الظفر بأسباب ملكوتية ليتوسل بها في إقامة بنائه الملكي.

وذلك لأن الفقه الائتماري اهتم بصفة واحدة من صفات الله ﷻ التي هي الآمرية التي تجمع بين الإلقاء والإيجاب، بيد أن هذا الفقه وقع في آفة الاستقلال بهذه الصفة، فاصلاً لها عن باقي الصفات الإلهية، فرتب أحكامه على التسليم بأن الإلقاء والإيجاب الإلهيين يوجبان أن يكون الآمر والمأمور بعيدين بعدًا مطلقًا لاستحالة المناسبة بينهما، مما جعل التصور الائتماني يترك هذه المسلمة وأخذ بمسلمة تضادها، تقتضي أن الإلقاء الإلهي كما الإيجاب الإلهي يقع عن قرب. والمقصود بهذا القرب هنا القرب الملكوتي، لأنه سبحانه تنزه عن القرب الملكي تنزهًا مطلقًا، فلا هو بجسم يحلُّ في حيِّز، ولا الحيز بروح يحلّ فيه. ولا يتأتى هذا القرب إلا بالرجوع إلى الأسماء الحسنى، وأدل هذه الأسماء على هذا القرب، الاسمان اللذان جعلهما فاتحة كل شيء، وهما "الرحمن الرحيم"، وهكذا يكون هذا القرب الإلهي هو قرب رحمة. فالراحمية إذن، هي الصفة الملكوتية التي يتحدد بها القرب الإلهي.

ويترتب على هذه الرحمة الإلهية صفتان ملكوتيتان؛ أولهما السامعية التي هي من آثار تجلي الحق سبحانه باسمه السميع، فيكون سمع العباد ليس سمعًا مستقلاً أو قائمًا بنفسه، بل هو سمع تابع للرحمة الإلهية، وهذا يعني أنه لا سمع بغير إسماع الله لهم، ولو شاء لجعل في آذانهم وقرًا.. فيتضح أن السامعية صفة ملكوتية رحموتية يتجلى بها الإلقاء الإلهي في رحمته. وثانيها الباصرية التي هي من آثار تجلي الحق سبحانه باسمه البصير، فكما أنه سبحانه أسمع عباده أوامره فقد أشهدهم، وكما أنها لا إشهاد بغير شهادة على الشيء فإنه لا شهادة على الشيء بغير مشاهدته، إذ الشاهد لا يخبر إلا بما أبصر، وهذا يعني أنه لا إبصار بغير إبصار الله لهم، ولو شاء الله لجعل على أبصارهم غشاوة أو على قلوبهم أكنة. فيتضح أن الباصرية صفة ملكوتية رحموتية يتجلى بها الإلقاء الإلهي، مثلها في ذلك مَثَل السامعية. ومن هنا تقرر في التصور الائتماني أن الأمر

hiragate.com

الإلهي هو في الآن نفسه، إسماع وإبصار، فيكون الأمر الإلهي عبارة عن أمر مسموع ومُبصر، لا على أساس أن الحق سبحانه يحضر ما ألقى به إلى الأبصار، وإنما إلى البصائر، كما لا يلقيه على الآذان وإنما على الألباب، مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق:٣٧).

ومن هنا "تقرر أن الإلقاء الإلهي بموجب الراحمية الإلهية، ليس إسماعًا إلهيا فقط، بل أيضًا إبصار إلهي. فقد ظهر أن الحق سبحانه يتجلى على من يُسمعهم ويُبصِّرهم، وهو يلقي بأوامره إليهم، باسم عظيم من أسمائه الحسنى وهو الشهيد؛ إذ يُحضر سبحانه لقلوبهم ما يُلقي به إليهم.. وعندئذ يلزم أن يتضمن اسم الشهيد اسمَ السميع واسمَ البصير، بحيث تكون الشاهدية صفة ملكوتية رحموتية جامعة لـ"السامعية" و"الباصرية" كما تنص على ذلك نصًّا صريحًا الآية الكريمة: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(طه:٤٦).

و"إذا كانت الشاهدية خاصية يتجلى فيها القرب الإلهي، فليس هذا القرب عبارة عن "قرب رحمة" كما هو الشأن بالنسبة للآمرية فحسب، بل هو نفسه رحمة من نوع خاص، إذ هو عبارة عن "رحمة قرب"؛ فالشاهدية تدل على أن الشاهد الأعلى قريب، والقرب أصله رحمة، والبعد أصله لعنة، ويتخذ هذا القرب شكل "حضور ملكوتي".. وبهذا، يتبين أن "قرب الرحمة" يزدوج بـ"رحمة القرب" في الشاهدية الإلهية، حتى إن أحدهما لا يُعرف إلا بالآخر؛ فلا تتعرف الرحمة إلى حقيقتها في شيء تعرُّفها إليها في القرب، فماهية الرحمة هي القرب، كما أن القرب لا يتعرف إلى حقيقته في شيء تعرُّفه إليها في الرحمة، فماهية القرب هي الرحمة".

ويظهر أن الفقه الائتماري وقع في آفتين اثنتين، وهما الإلقاء البعيد والإيجاب البعيد، ورَّثتا المسلم تصورًا جلاليًّا للألوهية، مما أثر على عقله وسلوكه بالضيق والتشدد. وقد تدخل الفقه الائتماني لمعالجة هذا التصور، حيث استبدل الإلقاء البعيد بالإلقاء القريب الذي يجمع بين السمع والبصر، كما استبدل الإيجاب البعيد بالإيجاب القريب الذي يعيد الاعتبار لمبدأ الاختيار. والأصل في هذا القرب المزدوج، هو الرحمة الإلهية التي تتجلى في كون الله سبحانه سميعًا بصيرًا وفي كونه سبحانه شهيدًا. وهكذا فإن الشاهدية تجمع بين الآمرية والراحمية، ومن ثم تُخرج الآمرية من التصور الجلالي القائم على الضيق والتشدد، إلى تصور جمالي قائم على السعة واللين، ومن ثم يجعل الأوامر الإلهية تتأسس على الرحمة وليس على القهر.

ومن ثم فإن علاقة الإله بالإنسان -أو علاقة الآمر بالمأمور- في التصور الائتماني تُبنى على الراحمية الإلهية، وهذا يجعل الآمرية الإلهية تابعة للشاهدية الإلهية، فبحكم هذه الراحمية الإلهية لا تقوم الآمرية على مجرد الإلقاء بالأوامر ومجرد الإيجاب بإيقاعها، بل تقوم على الإلقاء المقترن بالإبصار وعلى الإيجاب المقترن بالاختيار، وذلك لأن الشاهدية الإلهية تجمع بين السامعية والباصرية، فتكون علاقة الإله بالإنسان -أو علاقة الشاهد الأعلى بالمأمور- هي علاقة إسماع وإبصار، لأنه يُسمعه أمره ويُبصره آمِريته.

ويستخلص مما سبق، أن المنظور الائتماني ينبني تصوره للآمرية الإلهية على أساس الرحمة والاختيار لا على أساس القهر والإجبار، أي أنها تقترن بسياق الرحمة فضلاً عن اقترانها بسياق الأسماء الحسنى، كما يتخذ منها دليلاً يدل على وجود الله سبحانه. ومن ثم فإن معرفة الألوهية تتحقق عن طريق التصور الجمالي لصفة الآمرية التي تتقدم على صفة الخالقية، ومن باب أوْلى على صفة الرازقية.. وهكذا يكون التصور الائتماني أبدع دليلاً آخر يتقدم على دليلي الوجود والرزق وهو دليل الآمرية، لكنه لا يفصلها عن الشاهدية الإلهية كما ساد بذلك الاعتقاد في الفقه الائتماري في المجال التداولي الإسلامي، وكما تقرر عند أهل الحداثة من الدهرانيين في المجال التداولي الغربي، وإنما يجعلها تابعة للشاهدية التي هي صفة الحق سبحانه الخاصة، بشهوده لكل شيء وشهادته على كل شيء، كما أن الائتماني ينظر إلى الألوهية نظرًا ملكوتيًّا، حيث لا يقف المتزكي عند الظواهر، بل يتعداها للآيات والقيم المنطوية تحت هذه الظواهر، قصد الوصول إلى معرفة الألوهية تمام المعرفة حتى يأتيه اليقين. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

أ.د. بركات محمد مراد*

معلم مبدع تعليم ناجح

إن دراسات متعددة، أثبتت أن على عاتق المعلم يقع ٦٠٪ من نجاح العملية التعليمية، وأن له أثرًا قويًّا على تكيف التلاميذ المدرسي وتحصيلهم الدراسي. ويخضع المعلم في عمله لتأثير عوامل متعددة، ولعل أقواها حضورًا وفاعلية، عامل الإعداد المهني والثقافي، وعامل النظام الإداري الذي يحكم المؤسسة المدرسية.

رسالة المعلم

ولا شك أن رسالة كل معلم، أن يقدم الجديد في مجاله الفكري بشكل يطور القدرات الإبداعية والابتكارية لطلابه، أو لكل من يأتي باحثًا أو متعلمًا في مجال علمه، وأن يتخطى الطرق التقليدية التلقينية والجدلية، ويتبع الطرق الحيادية والموضوعية في تناول الأبحاث العلمية والدخول في المجالات النقدية، مع وضع العديد من الافتراضات العلمية واختبارها للتأكد من درجة مصداقيتها.

ومن البديهي أنه في عصر اقتصاد المعرفة الذي نعيشه، لا بد من تجديد كفايات المعلم وأدواره باعتباره الصديق الداعم والناقد، والقائد الفذ، والمبدع والمبتكر، والمحاور والمناقش، والمراقب والموجه للتعلم، والأنموذج والمستشار.. مثلما يتضمن الخصائص والمواصفات المتجددة للمعلم باعتباره متفردًا وغير نمطي، يعد اختلافه مع الآخرين مصدر ثراء معلوماتي له، كما أنه مسهل للتعلم وميسر له، وممارس فعلي للتفكير الناقد والتعلم الذاتي الشامل والمستدام.

وكما تشمل الكفايات والقدرات المطلوبة من المعلم في عصرنا، فهناك قدرات ومهارات أكاديمية عالية، وخصائص وجدانية راقية، إضافة إلى مهارات التحدي والإبداع والتميز، والقدرة على قيادة الصف والعدالة في

الممارسات التدريسية والنمو المهني المستمر.

وبالتالي، على المعلم أن يكون مصدرًا للأفكار الجديدة والأصيلة، التي تنبع عادة من عمليات التفكير العقلية التي تؤدي إلى الكشف والاختراع، كالتأمل والتصور والتبصر والتنبؤ والحدس والتخمين.. وهي أفكار تحطم القوالب الموجودة، وتخرج عن المألوف والتقليدي، وتكسر النماذج الذهنية المفروضة. ويراد من هذه الأفكار المبتكرة، سلوك طرق أخرى غير الطرق الرئيسة التقليدية، وتؤدي إلى انفتاح على خبرات جديدة، ومباشرة أول خطوة نحو وضع خط فكري جديد وطرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، وإيجاد ما يؤدي إلى أمور أخرى جديدة، ومعرفة العلاقات بين الأفكار.. إن مثل هذه الأفكار لا تولد من لا شيء، بل تعتمد في مكوناتها على مواد أولية موجودة في الطبيعة والبيئة، ويساعد المعلم على البحث عنها واكتشافها.

وكل هذا لا يمكن أن يتم إلا بتربية الإبداع، أي تمكين المعلم من الوصول إلى مرحلة الإبداع في الدور الذي يقوم به. وعلى الرغم من أن الإبداع نوع من التفكير المنظم الذي يمكن أن يتبعه أي فرد، فإن الإبداع كنتيجة لا يتأتى للجميع، فهو قد يتأتى للضعيف ويتعذر على القوي. فالإبداع نظرة إلى المألوف من زاوية غير مألوفة، ومعالجة فعّالة ومؤثرة للمعروف بطريقة غير مسبوقة، وإذا كان عصرنا هذا هو عصر الأقوياء الذين يفرضون إرادتهم على الضعفاء، فإن هذا العصر يمنح الضعفاء فرصة الإمساك بزمام القوة بعدة طرق من أهمها طريق الإبداع.

وضع المعلم في العصر الحاضر

إن مهنة المربي أو المعلم في مجتمعنا العربي لم تبلغ المكانة اللائقة بها، حيث إن المعلم لا يعتبر كاختصاصي من حيث امتلاك التقنيات والإبداع العلمي، وإنما مجرد مبلّغ لمعرفة في متناول الجميع، ويعبر عن هذا التصور الشائع، المثل الشهير "التعليم مهنة من لا مهنة له". وقد ساهم في تثبيت هذا المشهد الخاطئ وانتشاره، التغاضي عن توظيف غير المؤهلين ولا المُدربين للاشتغال بتعليم الأطفال.

يحدد الخطاب التربوي السائد دور المعلمين في تعليم التلاميذ، بتلقينهم المعارف الجاهزة وإدماجهم

على المعلم أن يكون مصدرًا للأفكار الجديدة والأصيلة التي تنبع عادة من عمليات التفكير العقلية التي تؤدي إلى الكشف والاختراع، وهي أفكار تحطم القوالب الموجودة، وتخرج عن المألوف والتقليدي، وتكسر النماذج الذهنية المفروضة.

داخل جماعة الفصل بفرض قواعد ومعايير السلوك. والمعلمون يجب أن يكونوا قدوة لتلاميذهم بسلوكهم وانضباطهم؛ يتعلم فيهم التلاميذ أن النجاح يعني التمثيل الباطني للتبعية والانقياد للمؤسسة المدرسية ولتقاليدها، ولا مجال لإصدار أحكام أو إعمال للفكر أو التحليل والإبداع والابتكار.. وتحقيق هذا لا يوجب تكوينًا عاليًا للمعلم، لأن إطار الحياة في السياق التقليدي مرسوم بدقة ووضوح، وجميع المعلمين قادرون على أداء هذا الدور الذي تعلموه منذ طفولتهم في الأسرة والمدرسة.

هذه المؤسسات الفرعية جعلتهم يتمثلون المنظومة التربوية، وأعدتهم بطريقة محكمة لأداء هذا الدور، ولهذا ليس غريبًا أن نجد في مدارسنا رجالاً ونساء يتولون تعليم أبنائنا دون سابق تدريب أو تأهيل. ومن الآفات السيئة هنا، اكتفاء المعلمين بما حصلوا عليه من تعليم في المدارس ومراكز التكوين، وعدم حرصهم على متابعة المستجدات العلمية، مما يجمد إمكاناتهم العلمية والفكرية والمهنية عند الحد الذي بدأوا فيه.. كما أن القوانين والضوابط الإدارية، لا تحفّز المعلم ولا تشجعه على خوض التجربة والبحث والمبادرة الذاتية في تطوير العملية التعليمية وتحسين وتحديث أجوائها.

أهمية التكوين المستمر والمتجدد

إن التعليم نشاط اجتماعي ثقافي التشابك فيه المؤثرات المتباينة، وتتداخل العوامل المختلفة لتؤثر فيه وتطبعه. فكل العوائق التي تواجه العملية التعليمية تكون متشابكة ومتقاطعة ومترابطة فيما بينها، لا يمكن التصدي لها إلا بالعمل على حل المشكلات وقهر الصعوبات والعوائق.. ومن هنا يدرك علماء التربية، أن التكوين المتين والمستمر للعاملين في حقل التعليم -وخاصة

hiragate.com

المعلم- يؤدي بالضرورة إلى تكييف وتحسين مهاراتهم وكفاءاتهم، وضعف مؤهلات المعلمين ينتج عنه تخلف دراسي لدى التلاميذ يصعب إصلاحه.

إن تكوين المعلمين تكوينًا مستمرًا، يجدد معرفتهم ويثري خبرتهم، ولذلك فإعداد المعلم يحتاج إلى مدة زمنية كافية ومستوى أكاديمي رفيع لأسباب كثيرة، منها اللحاق بمصادر المعرفة العالمية وحاجة المعلمين إلى المزيد منها، والتكيف مع متطلبات التجدد التربوي والثورة المعلوماتية.

تربية الإبداع

لا بد من "تربية الإبداع"، ذلك النوع من التربية الذي يقوم على صناعة لدى الناشئة والراشدين على حد سواء، كوسيلة فعالة لمواجهة التحديات العلمية والتقنية التي تواجهها بلادنا العربية، وردم الفجوة الفنية والعلمية والإدارية بيننا وبين العالم المتقدم الذي تتكاثر فيه المعلومات والأفكار بشكل يفوق الوصف، ولممارسة "تربية الإبداع" التي تهتم بتنمية المعلومات والمعارف والمهارات والقيم التي تضمن الإنتاج الإبداعي، لا بد من دراسة أربعة عناصر أساسية لهذا النوع الفريد والمتميز من التربية، والذي ينبغي أن يتوافر في شخص المعلم الذي نريد إعداده وتكوينه، ليقوم بمهمة التعليم على أعلى مستوى مهني ممكن.

١-سمات الشخصية المبدعة: فهناك سمات وخصائص اتفق الباحثون على توفرها في الشخص ليوصف بأنه مبدع، إضافة إلى ضرورة توفر البيئة والمناخ والظروف المواتية للإبداع.. وتندرج هذه الخصائص والسمات تحت مجالين، هما المجال المعرفي، والمجال الوجداني. ويمكن إيجاز ما حدده الباحثون من خصائص وسمات المبدعين في التالي:

الطلاقة: قدرة الفرد على الإنتاج المنوّع. المرونة: قدرة الفرد على التطبيق والتقسيم إلى فئات. الأصالة: قدرة الفرد على تقديم النادر من الأفكار والأشياء. التفاصيل: قدرة الفرد على التوسع في العرض والشرح والتحليل. الانفتاح: قدرة الفرد على التحدي وعدم الخوف من الخوض في غير المألوف. إيجاد النظام: قدرة الفرد على إيجاد النظام من الفوضى. المخاطرة: قدرة الفرد على تحمل المسئولية وتحليه بالشجاعة. ثم حب الاستطلاع، وحب الاستقلال، والخيال الواسع.

٢-معايير الإبداع: الإنتاج الإبداعي لن يظهر في جميع الأعمال نظرية أو تطبيقية، مادية أو معنوية، عملية أو فنية كما يظهر في جميع مجالات الحياة، ومن خلال الأفراد والجماعات.. وليتصف الإنتاج بالإبداع، لا بد من عرضه على ثلاثة معايير يمكن تسميتها بمعايير العمل الإبداعي، وهي:

الجدة: أي جدة الفكرة أو التصميم أو الاستعمال أو المظهر الفني، بشرط التلاؤم مع تطورات العصر.

الأصالة: لا بد للعمل المبتكر أن يكون أصيلاً من حيث استفادته من موارد البيئة وإمكاناتها ومراعاة الظروف المحيطة، وأن يكون قليل التكلفة ممكن التطبيق، ولا بد أن يكون العمل من إنتاج المبدع نفسه وأن يكون واقعيًا.

القيمة: يكون العمل الإبداعي ذا قيمة؛ إذا تقبله الآخرون واتصف بقلة المجازفة، وإذا كان قابلاً للإنتاج مرة أخرى. وكلما كانت استعمالاته متعددة زادت قيمته، وإذا حقق مصلحة اجتماعية ملموسة وأثرًا إيجابيًا.

وعامة، فعملية الإبداع -بمراحلها المختلفة- تتحقق إذا كانت البيئة التربوية موفرة لجميع الإمكانيات والقدرات والأجواء التي تمكّن الفرد من القيام بجملة من النشاطات التالية: تحديد أبعاد المشكلة، التركيز على أكثر عناصر الموقف ارتباطًا، إعادة صياغة المشكلة، إدراك العلاقات الجديدة بين عناصر المشكلة، إعادة تنظيم الخبرات، إصدار العديد من الحلول المرتبط بالمشكلة، الوصول إلى حلول جديدة غير روتينة للمشكلة.

وسائل تربية الإبداع

وهناك كثير من الوسائل التي تؤدي إلى تربية الإبداع، ومن أهمها:

أولا: الإبداع عن طريق توليد الأفكار ذاتيًا على انفراد، وقد يتم ذلك عن طريق:

أ- استخدام لغات التفكير: فهناك سبع لغات يمكن للفرد استعمال أي منها لتوليد الأفكار ذاتيًا، وهي:

اللغة البصرية: وتستعمل فيها الصور والمجسمات والمناظر ذات الأبعاد المختلفة والرسوم التوضيحية

hiragate.com

والبيانية. واللغة الحرفية: وتستعمل فيها الكلمات والوصف والتعليمات. واللغة العددية أو الرقمية: وتستعمل فيها الأعداد والعمليات الحسابية والجبرية. واللغة التسلسية: وفيها يتم تسلسل الوقت والأحداث والتطورات. واللغة العاطفية: ويتم خلالها توظيف المشاعر والأحاسيس والانفعالات. واللغة المنطقية: وتقوم على التحليل والاختبار والاستقراء والاستنتاج والدليل والأحكام. واللغة الفكرية: وتقوم على استعمال الفلسفات والنظريات والأساليب البيانية وتشبيهات المجاز.

بـ- استخدام البحث عن البدائل المتشابهة والبدائل المضادة والبدائل المألوفة وغير المألوفة.

جـ- استخدام لعبة البدائل والاحتمالات والاختيارات المتعددة.

د- إعادة الوصف والنظر في الموضوع أو المشكلة من وجهة نظر الآخرين في أثناء القيام بالعمل الإبداعي، واستعمال السؤال: ماذا لو؟ كيف يمكن؟

هـ- استعمل طريقة "Scamper"، وتتكون من عشر خطوات ابتكرها "بوب ابتل"، وهي: بدّل، أضف، عدّل، شكّل، كبّر، صغّر، احذف، اِقلب، أعد ترتيب، استخدمات أخرى.

ثانيًا: الإبداع عن طريق توليد الأفكار مع الآخرين: إن استعمال الحوار والمناقشة مع الآخرين، وإثارة الأسئلة المألوفة وغير المألوفة، والأسئلة المضادة في أثناء عملية الإنتاج الإبداعي، جزء مهم من هذه الأساليب، ويمكن أن نعرض لطريقين منها هي التالية:

العصف الذهني (Brain Storming): وهو لقاء مجموعة من الأفراد يزيد عددهم على عشرة ولا يقل عن ستة، لمناقشة موضوع معين معروف لديهم مسبقًا. وتتاح لهم مناقشة الموضوع بحرية دون توجيه أو نقد، ويسود الجلسة روح الدعابة والمتعة وتجنب الاستهزاء بأصحاب الأفكار الغريبة.. ولذلك تقوم هذه الطريقة على تجنب النقد، وإطلاق حرية الأفكار، وطلب المزيد من الأفكار دومًا، والبناء على أفكار الآخرين وتطويرها.

العصف الكتابي (Brain Writing): وتعتمد على الكتابة لا على الحديث، وتقسم المجموعة إلى مجموعات لا تزيد على ستة أشخاص يجلسون على طاولة واحدة، ويعمل كل فرد ورقة مكتوبًا عليها عنوان الموضوع الذي سيتم التفكير فيه، ثم يطلب من كل مشترك كتابة فقرة واحدة على الورقة، يتلو ذلك تبادل المشتركين الأوراق ثم تعديل ومواءمة أفكارهم.

أخلاقيات المعلم

إن حركة التربية المعاصرة بما تتخذه من إستراتيجيات وتوجهات، وبما ترنو إليه من توقعات وآفاق؛ لتؤكد أن مجال التربية ميدان إبداع بقدر ما هو ميدان تحد واختبار، يضع إنسانية المرء على المحك وأخلاقياته كذلك. إن التربية يجب أن تكون قادرة بأدبياتها ومؤسساتها، على إلقاء الضوء وتأكيد أهمية السلوك الأخلاقي المهني؛ ضمانًا لاستمرار قدرة العاملين في المجال على دعم مؤسساتهم، وتفعيل دورها في ظل أزمات اقتصادية أو ظروف محلية معوقة.

إن الموقف الأخلاقي المتميز للمعلم من الأهمية بمكان، وبخاصة في مواقف اتخاذ القرار في مواجهة الآباء والزملاء ومواقف الأزمة والصراع، والاضطراب وقلب الأحوال وتبديل الصواب والخطأ، مع مراعاة المساواة والعدالة في تطبيق المبادئ والأخلاقيات بصدق وشجاعة والتزام.

ويشير "ييمان" (Yeaman) (٢٠٠٥م) إلى دور المعتقدات الدينية كأصول ثابتة تنطلق منها أخلاقيات المهنة، ويظل لها في ذات الوقت بُعد ثقافي اجتماعي يفسح المجال لتنويعات تتجاوز الدساتير واللوائح، وتضع في الاعتبار الآخر الذي يتعامل معه صاحب المهنة.

لكن علماء التربية والمتخصصين في أدبيات المجال، يجمعون على أن مسألة النسبية أو الذاتية، غير واردة مطلقًا في إطار تحديد أخلاقيات مهنة المعلم، كما أن المعلم ليس حرًّا ليسلك كما يشاء طالما قبِل أن يكون تربويًّا مهنيًّا وملتزمًا بأخلاقيات المهنة.

إن وعي المعلم وإدراكه للأخلاقيات التي تحكم ممارسته، هو شغله الشاغل في قلبه وخلفيته وتفكيره، وهو يزاول مهنته وبصورة تلقائية طبيعية وإن لم يحركه الانشغال بما هو صواب أو خطأ، فلأن ذلك قضية قد سبق وأن ترسخت في ذهنه، وأصبح مسلّمًا الالتزام بها. ■

(*) كاتب وباحث وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

د. ناصر أحمد سنه*

التكنولوجيا

ضرورة أم ترف؟

تجاوز استشراف التكنولوجيات المستقبلية اهتمام الدوائر التقنية العالمية إلى اهتمام جماهيري عالمي، لذلك دأبت الشركات التقنية والهيئات الاقتصادية والعلمية، على إصدار تقارير دورية؛ لرصد أهم المجالات التكنولوجية التي ستشهد انتشارًا متزايدًا وأهمية حياتية أوسع على المستوى الفردى والمجتمعي والعالمي. ومن أهم هذه التكنولوجيات سريعة النمو، التي وردت في تقارير استشرافية مختلفة:

المواد النانوية

تم تقدير سوق المواد النانوية بحوالي ٢٠ مليار يورو في عام ٢٠١٤. وعلى الرغم من عدم اليقين بشأن سميتها، فإنه يتم استغلالها لخواصها الكهربائية، والضوئية، والمغناطيسية الفريدة من نوعها، التي يمكن استخدامها على وجه الخصوص في تحسين عمليات التشخيص الطبي.

علم الأحياء الاصطناعية

يستند هذا المجال البحثي الجديد إلى مبادئ الهندسة الوراثية في معالجة الحمض النووي للكائنات والنباتات، بهدف تصميم وبناء أجزاء بيولوجية جديدة، وعمليات الاستنساخ، وإعادة هندسة النظم البيولوجية الطبيعية لأغراض مفيدة. وسيكون لعلم الأحياء الاصطناعية فوائد اجتماعية واقتصادية كبيرة في عدد من المجالات الهامّة؛ كالطاقة لتوفير وقود بتكلفة منخفضة نسبيًّا للنقل، والزراعة مثل تعديل النباتات وراثيًّا، وغير ذلك.

التقنيات العصبية (Neurotechnologies)

ستساعد التقنيات العصبية على فهم عمل الدماغ ومختلف جوانب الوعي والفكر وأنشطته العليا، وهي ثرية بتطبيقاتها، وواعدة لعلاجات جديدة. وستساعد -مثلاً- في تعديل العمليات العصبية لمعالجة بعض الأمراض العصبية، وابتكار واجهات تمكن الدماغ من التعامل مباشرة مع الآلات والتحكم فيها، أو في تطوير الروبوتات النانوية.

مجالات الصحة الرقمية

يوجد حاليًا حوالي ١٠٠ ألف تطبيق صحي رقمي جوال؛ ملفات وأضابير مرضية افتراضية، ومراقبة ذكية للمصابين بالأمراض المزمنة، وجمع إحصاءات وبيانات بكميات كبيرة، من أجل التنبؤ بموجة "الرشح" أو إعداد سجل مرض السرطان. فبفضل ثورة التقنية الرقمية، باتت قطاعات الصحة "الإلكترونية" والصحة "الرقمية/الجوالة" من أكبر الأسواق نموًّا في العالم. وهناك "سوار اللياقة البدنية، المرتبط بتطبيقات الهاتف الذكي"، حيث يتم إخبار المرء بعدد الكيلومترات التي ركضها حتى الآن، وبسرعة دقات القلب، كما تخبره متى يُفتَرَض أن يستيقظ تجاوبًا مع الساعة/النظام البيولوجي لجسده. ومن الابتكارات؛ عدسات لاصقة تقيس معدل السكر في الدموع وترسل هذه القيم إلى الهاتف الذكي. وربما ستشعر قريبًا حساسات دقيقة مزروعة في الجسم بإصابة بعض الخلايا بالسرطان، وترسل هذه المعلومات مباشرة إلى الطبيب. وبينما يدور الجدل حول "أمن وسرية" بيانات المرضى الحساسة المُخَزّنة على البطاقة الصحية الإلكترونية الجديدة، قامت شركات ألمانية بتطوير تطبيق "ون لايف"، لمعالجة البيانات الصحية لمجموعة من الأطباء الاختصاصيين من مختلف التخصصات. وتجهز تطبيقًا للمريض يتواصل من خلاله مع الطبيب مباشرة باستخدام ما يشبه سكايب، بما في ذلك غرفة انتظار افتراضية.

التقنيات المتقدمة لتخزين الطاقة

ما زالت معضلة تخزين الطاقة تمثل عائقًا اليوم أمام توسيع استعمال الطاقات المتجددة والنظيفة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح. وتعمل الكثير من الفرق البحثية في العالم على تطوير تقنيات جديدة تمكن من تصنيع بطاريات ذات سعة عالية لتخزين الطاقة، وهو ما سيؤدي إلى تحسين أداء نظم الطاقة، وتسهيل دمج مصادر الطاقة المتجددة الضرورية، لمكافحة ظاهرة الاحتباس الحراري العالمي. وتلعب مصادر الطاقة البديلة دورًا هامًّا في عالم "البيت الذكي" الذي يعمل بالتقنية الرقمية تجهيزات كهروضوئية، ومضخات حرارة، وعدادات ذكية ترتبط مع بعضها البعض، بحيث يصبح المنزل مركزًا صغيرًا للطاقة المُرشّدة. وهناك أجهزة حساسة متنوعة تحذر من محاولات السرقة وأخطار الحريق وأضرار الماء، وتخبر بها مركز الإنذار، كما يمكن أيضًا التعرف فيما إذا كان هناك باب أو نافذة مفتوحة.. وحتى فرن الطهي يمكن إطفاؤه عن بعد. فضلاً عن أن طلائع رجال/سيدات التنظيف الآلي (روبوتات) تعمل في المنازل منذ فترة طويلة.

الأقمار الصناعية الصغيرة

وهي أقمار يقل وزنها عن ٥٠٠ كلغ، وتضم فئات مختلفة مثل الأقمار الميكروية (Microsatellites) (من ١٠ إلى ١٠٠ كلغ)، والأقمار النانوية (Nanosatellites) (من ١ إلى ١٠ كلغ)، والأقمار الفمتو (Femtosatellites) (أقل من ١٠٠ غرام). وتم إطلاق ١٥٨ قمرًا صناعيًّا صغيرًا في عام ٢٠١٤، وسيتم بحلول عام ٢٠٢٠ إطلاق أكثر من ٢٠٠٠ قمر من هذه النوعية في جميع أنحاء العالم، لاستخدامات مدنية في خدمة البيئة (البحوث والمراقبة من اليابسة والمحيطات) والدفاع.

تحليلات البيانات الكبيرة (بيغ داتا)

سيكون لهذه التقنية آثار كبيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي من المستحيل تقييمها، ولكنها ستدفع أصحاب القرار إلى إيجاد توازن بين الحاجة إلى الانفتاح، والحماية ضد التهديدات الناجمة من الإفراط في وضع بيانات قد تشكل خطورة على الحياة الخصوصية للأفراد، أو الأمن، أو العدالة، أو النزاهة.

سلسلة الكتل (Block Chain)

هي تكنولوجيا قاعدة بيانات موزعة تعمل مثل سجل عام مفتوح مشترك وآمن، لا يستطيع أحد تزويره ويمكن لأي شخص تفقده. ويمكن لهذه التقنية خفض

hiragate.com

التكاليف المرتبطة بالمعاملات المالية العابرة للحدود بعشرين مليار دولار في جميع أنحاء العالم عبر تغيير البنية التحتية المصرفية. كما يمكن تطبيقها في الصناعة لتتبع المنتجات، وفي الاقتصاد التعاوني لتأمين المعاملات، بما في ذلك المبادلات التي ستتم اعتمادًا على الأشياء المتصلة بالإنترنت.

الطباعة ثلاثية الأبعاد

هي تقنية الإضافة التدريجية للمواد بهدف تشكيل المنتج، وهي عملية غير مسبوقة في التصنيع، وتعتمد على نماذج تجارية جديدة، وستحدث في المستقبل تغييرات كبيرة في الصناعات القائمة. وستمثل هذه التكنولوجيا قاطرة للابتكار والتجديد في الهندسة الميكانيكية، والسيارات، وصناعة الدفاع، والفضاء، وكذلك في مجالات الصحة، والأدوية، والتكنولوجيا الحيوية.

المدن الذكية

بدأت في تبني الرقمنة، فقامت "برشلونه" بتركيب أجهزة استشعار في المواقف الأرضية. وقامت بإطلاق نقل عام مترابط كجزء من إستراتيجيتها لمدينة ذكية. وقامت مدينة "نيس" بإنشاء "جادة مترابطة" وهي عبارة عن شارع عريض تكتنفه الأشجار ويضم إضاءة ذكية ومراقبة بيئية. ولدى ميناء "هامبورج" نظام رقمي لترشيد المياه، والسكك الحديدية، والحد من الازدحام المروري.

تقنيات النقل

سينتهي ازدحام الطرق، وتختفي الكثير من الإشارات الضوئية الحمراء مع قيادة أكثر أمانًا. ففي "القيادة التشابكية" تتبادل السيارات المعلومات عن سرعتها وموقعها، وتحذر بعضها البعض في حال وجود اختناقات مرورية. وتتطور أجهزة الحفاظ على خط المسير ومساعدات المكابح. وتم تطوير كاميرا يمكنها التعرف على الأطفال ومستخدمي الكرسي المتحرك وتقوم بإنذار السائقين. وثمة أنظمة تتواصل مع البنية التحتية، مع إشارات المرور الضوئية على سبيل المثال. وسيتم نقل البيانات على طرق يصل طولها نحو ١٣٠٠ كلم، وبجودة عالية. إنها "قيادة تلقائية"، حيث يركب السائق سيارته ويسترخي، ويلتفت إلى الأمور الهامة فقط، بينما تقوم السيارة ببقية العمل. فلقد قدمت شركة "غوغل" للمرة الأولى عام ٢٠١٤ "سيارة ذاتية التحكم، تقود نفسها بنفسها".

ضرورة أم ترف؟

عديدة هي الجوانب التي تغيرت وستتغير بحياتنا تغيرًا جذريًا نتيجة "الثورة الرقمية"، والروبوتات متعددة الاستخدامات (الصناعية، والزراعية، والطبية، والجراحية)، وتطبيقات الهواتف الذكية ..إلخ. لذا لم تعد الحياة كما كانت منذ سنوات قريبة، وفي جُعبة المستقبل القريب تطورات أكثر إبهارًا في "حياتنا الرقمية". لقد اختفت الجريدة اليومية (الورقية) كمعلم صباحي أساس، وأصبحت أخبار الصباح، وتبادلها مع الأصدقاء، مع غيرها من معلومات، عبر الهاتف الذكي فوريًا (أون لاين). فكل صباح يتشارك ملايين عبر العالم في وسائل التواصل الاجتماعي التي تجاوزت دائرة الأصدقاء والمعارف إلى دوائر أرحب. ومع كل الانفتاح يتزايد الطلب على مزيد من الأمان والخصوصية للاتصالات. وتعقد الآمال على "المُخَدّم الشخصي"، حيث تكون البيانات الشخصية على مُخدّم صغير خاص. ويتم نقل المعلومات والبيانات بأشد درجات الحرص والتشفير.

hiragate.com

وفي المنزل، تبدأ الغسالة بالعمل تلقائيًا، ثم تنطلق المكيفات/التدفئة المركزية، ويمكن التحكم بدرجات حرارتها عبر تطبيقات الهاتف الذكي، لتهيء لسكان المنزل دخول بيت مريح. كما يلقي المرء عبر الهاتف الذكي، نظرة افتراضية على المطبخ، ويرى ما هي المواد الغذائية التي يتوجب عليه شراؤها خلال تسوقه.

لقد غيرت التقنية الرقمية طريقة الوصول إلى المعارف والعلوم؛ فعبر نقرات يمكن البحث عن كل شيء تقريبًا. ولقد بات ممكنًا فك رموز خريطة المورثات الجينية، ومعادلات معقدة في مجالات أبحاث المناخ والفيزياء والكيمياء. كما تستفيد الدراسات المقارنة في عالم اللغات والأدب، من التقنيات الرقمية بمختلف أنواعها وأدواتها، لتسفر عن علوم إنسانية رقمية. وحتى علوم التاريخ والآثار، انفتحت لها طرق وإمكانات رقمية جديدة؛ إنها معرفة في متناول الجميع.. سيل منهمر من النشر الإلكتروني، وكتب ومكتبات، ومتاحف لا تعرف أوقات عمل وأوقات راحة.. متعة ثقافية رقمية، وجولات مستمرة في أي وقت، حيث كل ما يحتاجه الزائر هو رمز الدخول فقط. وفي مجالات ثقافية أخرى تتغير طريقة المشاهدة والمشاركة، فيتم مشاهدة حفلات الأوبرا، وعروض السينما والمسرح أون لاين.

في مجال الأعمال والتجارة

سيتكون محرك الاقتصاد العالمي الجديد، من صناعات (الإنفوميديا)، وهي الحوسبة والاتصالات والإلكترونيات الاستهلاكية. وهي أكبر الصناعات العالمية الآن وأكثرها نموًا، حيث يبلغ رأس مالها أكثر من ٣ تريليونات دولار. كما يتزايد نمو القطاع التجاري الإلكتروني بمعدل يتراوح بين ١٠-١٣٪ شهريًا. وتشكل مجموعة من المشروعات والمؤسسات التجارية، القوى الكبرى المستخدمة للإنترنت، وتوجد القوى التجارية المستخدمة للإنترنت في مجال عريض من الصناعات المرتبطة بالحاسب الآلي، وشركات النفط وشركات المستحضرات الطبية والصيدلية، والصناعات المرتبطة بالرعاية الصحية، والخدمات المالية والبنوك.. إن عمالقة الصناعة ليسوا وحدهم المستخدمين للإنترنت، بل يستخدمها كذلك العديد من الشركات الصغيرة والمستثمرين الأفراد، مقابل تكلفة يسيرة من خلال موزعين تجاريين.

ونقد الإلكتروني لأسواق رقمية، حيث توجد العديد من أشكال النقود الرقمية؛ البيتكوين وأخواتها، ونظم المديونية وبطاقات الائتمان الإلكترونية وغيرها من البطاقات الذكية. وتتيح برامج الحاسوب دفع الفواتير إلكترونيًا.

الخلاصة

تنسج التكنولوجيات الحديثة خيوطها بوتيرة سريعة، في كل جزء من أجزاء حياتنا، وتتوغل في كل شبر من كياننا، لتصنع أجيالاً وعقولاً جديدة، وزيادة كبيرة في الإنتاجية، وتحولات شاملة عميقة وجذرية. وهي لا تغيّر قطاعات محدَّدة فحسب، بل تغيّر طريقة حياتنا وأنماط تفكيرنا وطرق تعاملاتنا.. ورغم أنها قد تقضي على فرص عمل، لكن يبدو أن لا مناص من صيرورتها للأمام حتى لو تم أتمتة أجزاء كبيرة من العمل الفكري البشري، بعد تفوقها في أعماله اليدوية. ■

(*) كاتب وأكاديمي مصري.

hiragate.com

سليمان أحمد شيخ سليمان*

الأسرة
البناء والمقومات

١ الأسرة تعرَّف بشكل عام على أنها الوحدة الأساسية التي يتكون منها المجتمع، وهي حاضنة الأفراد، وهي التي تمنحهم ثقتهم بأنفسهم، وتنمّي مواهبهم، وتعزز فيهم القيم الأخلاقية، والدينية، والإنسانية.. فينشأ مجتمع متكافل متراحم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه جزء، اشتكت لشكوته باقي الأجزاء.

إن الأسرة هي أهم ركن في المجتمع، وسلامة هذا الركن تعني سلامة الأمة والدولة. وعلى ذلك فعلينا ألا ندع هذا الركن الأساس في الأمة والمجتمع بلا خطة أو برنامج ألبتة؛ لأن الإهمال في هذا الركن بمثابة إهمال للأمة بأسرها. فمن الضروري إذن، التزامُ الجِدّية عند إقامة الأسرة وتنشئتها، فهذا أمرٌ في غاية الأهمية، خصوصًا وأن مجتمعنا اليوم تُثْخِنه الجروح بسبب العلاقات غير المشروعة.

أن تبني مجتمعًا، يعني أن تنشئ أسرة. فالأسرة حجر الأساس في أي بناء مجتمعي، والعناية بالمجتمعات عمومًا تبدأ من العناية بالأسرة، فإذا صلح الأساس صلح سائر البناء، وإذا اختلّ الأساس اختلّ البناء كله. ولكي تصلح الأسرة لا بد من توافر عدد من الصفات في ركنَيْها الأساسيين، أي الزوج والزوجة، تساعدهما على إنشاء الأسرة أولاً، وتنميتها تنمية صالحة وسليمة ثانيًا، والمحافظة عليها ثالثًا.

ومن جملة الصفات المُعِينة على تحقيق ذلك، والواجب توافرها في الزوجين: صفتا الوعي بالمستقبل، والقدرة على تحمل المسؤولية، والمعروف أن مستوى هاتين الصفتين، يتفاوت من شخص إلى آخر بتأثير عوامل عديدة، من بينها:

المستوى التعليمي، والوضع الاجتماعي، والاستقرار النفسي، والفئة العمرية التي ينتمي إليها الفرد.

وهذه العوامل، وغيرها، تؤثر تأثيرًا مباشرًا على الفرد عند إقدامه على الزواج، وبالتالي تؤثر على المجتمع. ويحسُن بنا، من باب التخطيط لمستقبل مجتمعنا، أن نولي كل عامل من هذه العوامل أهمية خاصة، وأن ندرك دورَه في تحديد طريق المجتمع، بناء على درجة اهتمامنا به.

أجل، إن بيتًا لم يقم على الجدية وإنما بُني على الأهواء والرغبات، لا يعِدُ بمستقبل زاهر، وسيظل هذا البيت عنصرًا سلبيًّا أصيلاً في جسد الأمة، وقد يُخرِّج لنا أبناء مشرّدين في الشوارع؛ لأن هذا البيت لم يعتمد على حسابات دقيقة وخطة متكاملة عند تأسيسه، وهذه الخطة نطلق عليها اسم "النكاح". ومن الضروري أن ينطلق هذا الطريق المؤدي إلى النكاح، من المنطق والفكر والقلب لا من الرغبات والشهوات، فمثلُ هذا الشعور والفكر الديني سيكون نافعًا جدًّا في الحياة الزوجية، فإن انعدمت الصلة بين الأبوين وبين الله، فمن المتعذّر أن يَحمل أولادُهما شعورًا واعيًا متوازنًا منتظمًا، بلهَ أيّ شعور بالمسؤولية، فلو جاءت النتيجة إيجابية -رغم صعوبة ذلك- فعلينا أن نعتبر هذا فضلاً وتلطفًا كبيرًا من الله تعالى، وأن ننكّس رؤوسنا وننحني امتنانًا له ﷻ.

الأسرة حجر الأساس في البناء مجتمعي، والعناية بالمجتمعات تبدأ من العناية بالأسرة، فإذا صلح الأساس صلح سائر البناء، وإذا اختلّ الأساس اختلّ البناء كله. إن بيتًا بُني على الأهواء والرغبات، لا يعِدُ بمستقبل زاهر لأمة.

حراء

إن كل ما في الكون متوقف على الأسباب، وبمراعاة الأسباب نحصُل على ما نرمي إليه بنفس الشكل الذي أمّلناه وأجهدنا فكرَنا فيه، ولا نصِل إلى الثمرة المرجوة غالبًا إذا ما غضضنا الطرف عن الأخذ بالأسباب في أعمالنا وتصرفاتنا.. فإن كنا لا نريد الوقوع في الخيبة والخسران، فعلينا أن نتناول كل مسألة بأسبابها ومقدماتها، ونراعي الدقة البالغة في هذا الأمر، ثم ننتظر النتيجة الرابحة منه -سبحانه وتعالى- دون سواه، ثقةً في فضله وعنايته تعالى.

أجل، علينا أن نثق ثقة كاملة بالله، وألا نقصّر في الأخذ بالأسباب في كل أفعالنا التي هي بمثابة الدعاء الفعلي، ويشرح هذا الأمرَ قولُ القائل: "مراعاةُ الأسباب لا تُنافي التوكّل"، هذا مبدأ إسلامي، ونحن نعتقد بضرورة مراعاة هذه المبادئ عند تشكيل مؤسسة حيوية مثل الأسرة.

فإذا ما سلّمنا بضرورة تأسيس الأسرة على هذا المنوال، أَجْدَت هذه المبادئ في الحصول على أجيال كاملة، ولكن إن كان هناك عطبٌ في أساس المسألة، قلّ بنفس القدر تأثير العلاج.. وإن أسرة يحفّها اليمن والبركة، في بيت يتكون من أبوين مستقيمين مسلمين مؤمنين يقومان بمسؤولياتهما على أتم وجه، فلا بد أن يكون كل شيء فيها في نصابه، ويصبح هذا البيت روضة من رياض الجنة. وأحسب أن الصيحات المفعمة بالنشاط والحيوية التي يطلقها الصغار في هذا البيت ستكون عند الله بمثابة الدعاء، مقدسة وكأنها تسبيحات للملائكة.

وعند حديث القرآن الكريم عن المجتمع السعيد بنسائه ورجاله يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

hiragate.com

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(الأحزاب:٣٥).

إن هؤلاء الرجال والنساء -مؤمنون مسلمون- تجمعهم الأسرة التي هي أصغر خليّة في الأمة، وثقوا في الله واتجهوا إليه بإخلاص، ووصلوا إلى معيته وقضوا حياتهم في عبادة وطاعة له ﷻ.

إن الصادق في كلامه وتصرّفاته -ذكرًا كان أم أنثى- هو الذي لا يكذّب كلامُه أفعَاله ولا أفعالُه كلامَه، حتى إنه من المتعذر مصادفة خلاف الواقع في هذا البيت الذي يشكله هذا الرجل وهذه المرأة، فكلّ شيء في هذا البيت صحيحٌ ويبدو في صورته الحقيقية، وكما يُصلح الإنسانُ من هندامه أمام المرآة، فكذلك الطفل سيُصلح من نفسه أمام لوحات الصدق في هذا البيت، ولن يضطلع بأيّ فعل خاطئ أو أيّ بيان يخالف الواقع، إذ كل ما يحدث في هذا البيت صحيحٌ وسليم، لأن هذا البيت يجمع الصادق والصادقة.

أجل، فإن كان الزوجان من الصابرين والصابرات، من الذين يتحملون مشقة العبادة والطاعة وقسوة المصائب التي يُبتَلَوْن بها، ويصمدون أمام الذنوب، ويحفظون فروجهم، ويكرهون أن يرتكبوا المعاصي كما يكرهون أن يُقذفوا في النار، فهم -بلسان حالهم- يؤثّرون في أولادهم كما يؤثرون في مجتمعاتهم كلها، حتى إنني أعتقد أن كل ما تتفوّه به ألسنتهم سيصغر أمام لسان حالهم.

فلا جرم أن الجدّية والوقار والحساسية والدقة البالغة، هي ما سيراه الطفل دائمًا لدى هذين الأبوين، اللذين تفيض أعماقهما بتوقير خالقهما، وتهتزّ جنباتهما دائمًا من خشيته، ويسعيان إلى أداء ما أُنيط بهما من تكاليف على أكمل وجه؛ مخافةَ ما ينتظرهما في الآخرة من حساب وجزاء، ويترقّبان في كل لحظة بلوغَ نهاية الطريق ودعوتهم إلى القبر. وسيرى الأطفال في مثل هذه الأُسَر قلقًا لطيفًا يعلو الوجوه، تتبعه عذوبةٌ ثم نشوةٌ أنشأتها مهابة الله والرجاء في الجنة، وعند ذلك ينشؤون في رفاهية ولكن مع الحذر، في سعادة ولكن مع سعة الأفق، في لذة وهناء ولكنهم أشبال المستقبل.

ولا بد أن يكون الزوجان في البيت من المتصدّقين والمتصدّقات، مهيَّئِين لعمل الخير، وأن يستمرا على هذا المنوال حتى ترتقي وتربو روح الكرم لدى أطفالهما. أجل، علينا أن نكون كرماء أولاً حتى يكونوا هم كذلك.. وإن الأولاد الذين ينشؤون في كنفِ هذه الأسرة وأمثالها، مهيّؤون لأن يكونوا كذلك.. إن أي مجتمع أو أمة تتشكل من أُسَر مثل هذه، مهيأة لتشكيل بُعد متميز من أبعاد الأمن والسكينة.. فهؤلاء هم السعداء في الدنيا والآخرة، ولقد تناول القرآن الكريم في خطابه الرجلَ والمرأةَ على السواء، ونظّم من كليهما بنية أُسَرية، فإن حقّقت هذه البنيةُ النتيجةَ المرجوة منها، عُدّت أقدس البِنى.

فإذا ما هبّت نسائم الروح الدينية على هذه الأسرة التي تقوم على هذين الركنين؛ نال أولادهما وأحفادهما أيضًا قسطًا من هذه النسائم نفسها. والصلاح الاجتماعي مقدّر ومرهون بدوام هذا الجو بين أفراد الأسرة -أي خلايا المجتمع- وإلا تلاشت كلُّ الآمال.

مقومات الأسرة

١- قيام الرابطة الزوجية بين الرجل والمرأة على أساس الديمومة والاستمرار؛ فالزواج الذي لا يبنى على الاستمرارية يُعد حرامًا من الناحية الشرعية.

٢- حسن اختيار الزوج لزوجته والحرية في ذلك، وكذلك للزوجة حرية اختيار زوجها، وأجاز الإسلام الانفصالَ عند الإكراه، وشجّع على اختيار صاحب الدّين والخُلُق؛ لأنه سيحفظ الأسرةَ وسيخاف اللهَ تعالى في أفرادها.

hiragate.com

٣- بناء العلاقات بين الأفراد في الأسرة على أساس الجَمع والتآلف والحب والإيجابية والتعاون والتواصل. فالإسلام نهى عن العلاقات السلبية والهدَّامة والمفرّقة التي تبعث على الانفصامية والانفصالية والأمراض النفسية.

٤- المعاشرة بالمعروف؛ فعلى كلا الزوجين معاملةُ الآخر بالحسنى والابتعاد عن الظلم والإكراه والإجبار والتعنُّت والأذى.. وقد أعطى الإسلام حقوقًا للزوجة كما للزوج حقوقٌ، وعلى كليهما مراعاتها.. وإن الصفة التي يجب أن تتصف بها مؤسسة الأسرة هي "المعروف"، فالله سبحانه قال: "وعاشروهن بالمعروف"، وقال في موطن آخر "فإمساك بمعروف"؛ فكان هذا الإرشاد وكأنه يريد أن يجذر في قلوبنا صفة ملازمة لمؤسسة الأسرة، ألا وهي صفة المعاشرة بالمعروف.

وخلاصة العشرة بالمعروف: تطييبُ الأقوال وتحسينُ الأفعال والهيئات -حسب القدرة- واستدامة البِشْر ومداعبة الأهل وتوسيع النفقة دون إسراف، وقيام كل من الزوجين بما يحب أن يقوم به الآخر. وبناءُ الأسرة في الإسلام متينُ القواعد عميق الجذور، لا ينبغي أن يُهدَم كيانه لسبب يسير، حتى ولو شعرت النفس بالكره أحيانًا، فلربما كان فيما تكره النفوس خير كثير، وتأمّل هدي القرآن والله يقول: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(النساء:١٩)، وهذا يعني أن الطلاق ليس هو الحل الأول في بداية الخلافات والصدامات الزوجية، وإنما هو الحل الأخير الذي تفشل قبله كل الحلول.

٥- تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة والكريمة، والخطوة الأولى هي أن يكون الوالدان قدوة حسنة للأبناء؛ بتأدية العبادات والطاعات، والاتصاف بالخلق الحسن، والمعاملة الطيبة.

٦- اتباع الطرق المختلفة في التربية؛ فدعا الإسلام إلى الرفق واللين في بعض الأحيان، واتباع الشدة والقسوة في أحيان أخرى، ولكنه منع إلحاقَ الضرر بالأطفال، وأوجب لهم حقوقًا مختلفة من أهمها الحق في الحياة الكريمة، وتأمين المأكل والمشرب والملبس، وتعليمهم أمور دينهم وأمور دنياهم، وتنمية قدراتهم وإبداعاتهم، والابتعاد عن اضطهادهم أو كبتهم؛ إذ لا يمكن لهم أن يعيشوا بمعزل عن العالم وما يحدث به من تطور وتقدّم.. وكذلك فإنهم يتلقون المعارف المختلفة الجيدة منها والسيئة، ولا بد من تهيئتهم وتجهيزهم حتى لا يصابون بالصدمة أو الذهول، مما قد يجدونه أمامهم من أمور تتعارض مع تعاليمهم ومبادئهم.

٧- المراقبة للأبناء وتقديم المشورة والنصح والتدخل في الأوقات المناسبة؛ فمن الخطأ أن ينشغل الأب بالبحث عن الرزق، أو أن تنشغل الأم بالأعمال المنزلية ويهملان الأطفال. ■

(*) كاتب وباحث سوري.

المرجع:

- من البذرة إلى الثمرة، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٥.

hiragate.com

د. محمد لخضر حرز الله*

نظرات قرآنية
في إصلاح النفس البشرية

يرتكز المنظور القرآني لإصلاح العقائد والأفعال على منهجية متكاملة الرؤى مترابطة البنى، تنتظم وفق ثلاثة أبعاد شاملة تجسد حقيقة النفس البشرية، وهي العقل، والسلوك، والغريزة (العاطفة). فالمتأمل لآيْ القرآن الكريم يلاحظ أنها تستهدف بمجموعها البياني والتشريعي والمقاصدي، تنمية هذه الأبعاد التي عليها مدار صلاح الإنسان أو فساده. وهي ترتبط فيما بينها بصفة تلازمية تفاعلية، إذ لا يمكن تغليب أو إهمال إحداها على حساب الأخرى، حيث تنسجم في توازن واعتدال بعيدًا عن شائنة الإفراط أو التفريط، وذلك لأن:

أ- الإفراط في الشحن العاطفي وتجييش الأحاسيس والانفعالات، يحيد بالعقل عن الاتزان الفكري ورجاحة الإدراك؛ فتتعطل قدراته التحليلية والاستنباطية بفعل الثورة العاطفية،كما قد يتردى السلوك في مزالق الميوعة أو التطرف.

ب- كما أن الغلو في التصوف والمكاشفات الروحية والزهد بداعي تقويم السلوك وتزكية الأنفس، قد يجني على جانب كبير من الأحاسيس والأذواق السليمة، ويصيب العقل بالبلادة والتكلس والتبعية العمياء من المريد لشيخه.

جـ- كما أن التحيز المفرط للنظر العقلي المحض وانتهاج مسلك المناطقة وغلاة العقلانيين والفلاسفة، في تبرير جميع الظواهر والأحكام الكونية والشرعية بالمنطق والاحتكام التعسفي الأحادي للعقل، وصولاً إلى إنكار كل ما يعارضه من الغيب المقرر نصًّا، والأحكام الشرعية القطعية ثبوتًا ودلالةً، بحجة عدم استقامتها مع مسلمات المنطق.. فمثل هذا النسق الفكري سيفضي حتمًا إلى منازعة الخالق في أمره وخلقه، وهو القائل: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾(الأعراف:٥٤)، كما قد يوقع صاحبه في التناقض العقلي من حيث ابتغى الفرار منه.

إن القرآن الكريم يتبنى منهجًا وسطيًّا منسجمًا مع طبيعة الفطرة الإنسانية ومتطلبات الواقع ومقتضيات الفكر الخلاق المتجدد، يمكن أن نصطلح عليه بـ"التوازن الإستراتيجي" بين ثلاثية العقل، السلوك، الغريزة، وتبيان ذلك في ما يلي:

أولاً: إثارة العقل

فلإصلاح العقل شدد القرآن على ضرورة التفكير والنظر التأملي في الآيات الكونية، التي استودع الله فيها أسرار إعجازه، وما استكنَّ بداخلها من قوانين ونواميس ناظمة للعلاقات بين الأسباب والنتائج، وما يتبع ذلك من تحقق مصالح الإنسان وانتظام الغايات الكلية للاستخلاف. فقد دعا القرآن في مواضع عدة، إلى إعمال العقل واستثارته بالبحث والسؤال والاستشكال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(يوسف:٢)، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(الذاريات-٢١).

فالقرآن يثير آلة التفكير في العقل بلفت النظر إلى مظاهر إعجاز الله وعظمته في الخلق، ليضع الإنسان أمام إشكالات وجودية ومظاهر كونية تفرض عليه البحث عن علاقاتها السببية، والتساؤلَ عن أصل نشأتها ونواميسها وقوانينها السننية، ومن هنا تنشأ المعرفة

القرآن يثير آلة التفكير في العقل بلفت النظر إلى مظاهر إعجاز الله وعظمته في الخلق، ليضع الإنسان أمام إشكالات وجودية ومظاهر كونية تفرض عليه البحث عن علاقاتها السببية، والتساؤلَ عن أصل نشأتها ونواميسها وقوانينها السننية.

حراء

العلمية المقترنة بالمعرفة الإيمانية التوحيدية. ومن أساليب القرآن في إثارة العقل وتنميته:

١-الأمر بالتدبر في ملكوت السماوات والأرض، وتقليب النظر في الظواهر الكونية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة:١٦٤).

٢-الحث على طلب العلم والقراءة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(الإسراء:١١٤).

٣-الأمر بالسؤال وتحري المعرفة من مصادرها: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:٤٣).

٤-النهي عن الخَرْص واتباع الظنون والأساطير: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:٦). والخَرْصُ الكذب. فالانشغال بهذه الآفات، مدعاة لتعطيل القدرات العقلية عن التأمل والادّكار.

٥-النهي عن تعطيل التفكير والتحجير على العقل: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد:٢٤)؛ والقلوب هنا بمعنى العقول، فوَصَف العقول التي لا تفكر؛ كالمغلقة التي لا ينفذ إليها نور الوعي والعلم. والآية جاءت في سياق الاستفهام الانكاري.

٦-تحريم التقليد الأعمى المعطل لمادة الإبداع: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(البقرة:١٧٠).

٧-الأمر بالتحري والاستبيان، وعدم بناء أي قناعة أو حكم على أساس الظنون: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(النجم-٢٨).

hiragate.com

٨- مدح المتفكرين والثناء على فعل التأمل، باعتباره من أجل الطاعات: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران-١٩١).

٩-التذكير بعاقبة من عطل عقله وحسرته في الآخرة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(الملك:١٠-١١)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(الأعراف-١٧٩)

١٠- استعمال الاستدلال العقلي والحجاجي في مجادلة المشركين. ويتجلى ذلك في مناقشات الأنبياء مع أممهم، ومن أبرزها مناقشات سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع النمرود. وفي حادثة تحطيم الأصنام، وحين استدل بالشمس والقمر والكوكب، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة-٢٥٨).

ثانيًا: تقويم السلوك

المقصود بالسلوك هنا الأفعال والأقوال الإرادية التي يزاولها الإنسان في علاقته مع الخالق أو المخلوقين، وقد استهدفها القرآن بالتعديل والتقويم وفق درجات الأحكام الشرعية الخمس: الواجب، المستحب، المحرم، المكروه، المباح. ولو نتأمل في المقاصد العميقة للأحكام التشريعية العملية، سواء في العبادات أو المعاملات المالية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية، سندرك أنها وضعت على نسق متكامل يستهدف البناء السوي لسلوك المسلم من منظور المصلحة القائمة على جلب المنفعة أو دفع المضرة أو الجمع بينهما.

١-الصلاة بأحكامها وشروطها وأوقاتها وأركانها تهدف لإرساء سلوكات وقيم إيجابية، تَنْحُو بالمسلم نحو الاعتدال والارتقاء كالانضباط، والاتحاد في تنظيم الصفوف، واحترام الوقت، والمداومة على الطهارة، والصبر، واجتناب الفحشاء والمنكر، إضافة إلى مقاصدها الروحية كالخشوع والتواضع والتسامح والعبودية لله تعالى.

٢-أما الصوم بفرضه ونفله وأحكامه وحِكمه، فهو مدرسة لتهذيب النفس، وارتقاء الروح، وتعويدها الصبرَ، والشعورَ بمآسي المحتاجين، وإكساب الإنسان القدرة على التحكم في النفس وقيادتها لا العكس، وترك المباحات تقوية لعزيمتها في ترك المحرمات.

٣-أما الزكاة والصدقات فتربي النفس على البذل والعطاء والإيثار واستشعار معاناة الناس والتكافل الاجتماعي، وتزكيتها من درن البخل والشح والاستئثار.

٤-أما الحج والعمرة ففيهما تتجلى قيم التراحم، والتضحية، والمجاهدة، والانضباط الفردي والجماعي، والوحدة العضوية للمجتمع في زيٍّ واحد ومسلك واحد وقول واحد، وذلك لإبراز أهمية التضافر والعمل الجماعي في تحدي الصعاب.

وهكذا لو دققنا النظر في مقاصد جميع الأحكام وتفاصيلها، فستتجلى لنا الحِكَمُ العليَّة والمقاصد السَّنيَّة التي قد لا تتحقق في أي نظام آخر، ولهذا يقول الإمام الشاطبي-رحمه الله- في كتابه "الموافقات": "والمعتمد إنما هو أنَّا استقْرَيْنا من الشريعة أنها وُضعتْ لمصالح العباد استقراءً لا يُنازَع فيه". فما على المسلم في ذلك سوى الاجتهاد في الفهم والعمل.

hiragate.com

ثالثا تهذيب العواطف والغرائز

العواطف هي قوة شعورية ذاتية تدفع الإنسان لاتخاذ سلوك أو قرار معين، سواء كان إيجابيًّا أو سلبيًّا، أما الغرائز فهي الرغبات التي جُبلت عليها النفس البشرية.

ويرتكز المنهج القرآني في تهذيب العواطف على تحقيق التوازن الانفعالي، من خلال الجمع بين مسلكَي التصفية والتحلية؛ فالتصفية من القيم والطبائع السلبية، والتحلية بالقيم والمكارم الإيجابية. ففي الوقت الذي ينهى القرآن عن الطبائع الذميمة كالخيانة والغش واليأس والرياء.. التي تولد اختلالاً في التفكير والسلوك، فإنه يرشد إلى المكارم النبيلة كالصدق والمحبة والتفاؤل والصبر والأمانة.. التي تولد اعتدالاً في التفكير والسلوك.

وفي باب الغرائز نجد القرآن يقرّ بفطريتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(آل عمران-١٤).

غير أنه يرشدنا إلى كيفية إشباعها بالطريق المشروع والمأجور معًا، فهو لا يهدف إلى إطفاء جذوتها بقدر ما يرمي إلى إنمائها في تربتها الملائمة، والارتقاء بها من درك الحيوانية إلى درج الإنسانية، ومن أمثلة ذلك:

١- غريزة حب المال والتملك: فقد أرشد إلى تنمية المال بالبيع والتجارات والشركات، وحرم اكتسابه بالربا والغش والسرقات.

٢- غريزة حب النساء: فقد ندب إلى الزواج وتيسير طريقه، وحرم الزنا واتخاذ الأخدان.

٣- غريزة حب السلطة: فقد ضبطها بالعدل والشورى وتولية الأكفاء، وحرم الاستبداد والطغيان والظلم.

٤- غريزة حب الولد: فوضع الإطار الشرعي لتحقيقها وهو الزواج، ومنعها من جهة التبني والسّفاح لما عُلِمَ من مفاسدهما.

وفي سبيل تهذيب العواطف والغرائز وتحفيز النفس نحو العمل الصالح، يوظف القرآن منهجين متكاملين، هما الترغيب والترهيب أو الخوف والرجاء، مع تغليب جهة الرجاء والمحبة والطمع في رحمة الله، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(المطففين:١٦٥)، ويتم ذلك وفق أسلوبين هما:

أ-بيان صفات الجنة وأهلها والترغيب فيها: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾(المطففين:٢٢-٢٥).

ب-بيان صفات النار وأهلها والترهيب منها: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾(الصافات:٦٢-٦٦).

إن النفس هي المسؤولة عن التوجيه الفكري والسلوكي والعاطفي للإنسان، وقد خاطبها القرآن باعتبارها كيانًا مستقلاً واعيًا فقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾(الفجر:٢٧)، وهي تجمع بين الأبعاد الثلاث الآنفة، ولا صلاح للنفس إلا بمراجعة واعتدال ثلاثتها: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(الملك-٢٣)، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾(الإسراء-٣٦). ■

(*) أستاذ وباحث بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد خيضر بسكرة / الجزائر.

hiragate.com

قطوف
فتح الله كولن

غاية الإنسان الأسمى

١

الشعور بالشغف هو عاملٌ مهم يثير لدى الإنسان الرغبةَ في الوصول إلى الحقيقة، ويُشعل في نفسه جذوة العشق والشوق إلى البحث والدراسة. لذا يجب على الإنسان أن يستخدم مثل هذا الشعور المهم في سبيل غاية سامية، وفي رأيي، أن هذه الغاية هي معرفة الله (الذات الأجلّ الأعلى) الذي خلق الإنسان من عدم، وشرّفه وكرمه على سائر مخلوقاته، وجعل الدنيا ممرًّا إلى الجنة ومزرعة إلى الآخرة، وزيّن الكون بأسمائه الحسنى، وأرسل رسلاً هادين غير مضلِّين؛ أزالوا الغشاوة عن الأعين حتى أبصرت كلّ شيء على حقيقته. ومن ثم يجب على الإنسان أن يثير شعور الشغف لديه طوال عمره، وأن يسعى إلى معرفة الذات الإلهية المنزّهة عن الكمّ والكيف على قدر استطاعته.

جاء في الأثر: "تَفكَّروا في آلاء الله، ولا تَتفكَّروا في الله"[1]، فهذا البيان النبوي يُعدّ معيارًا لنا في هذا السياق. قد يشعر البعض بسبب سعة صدورهم وعمق مشاعرهم وأفكارهم، ببعض الأمور المنزهة عن الكم والكيف فيما يتعلق بالذات البحت (الذات الإلهية)، ولكن هذه الحقائق التي يشعرون بها لا تتيسّر للجميع. من أجل ذلك علينا مراعاة الحد الذي وضعه مفخرة الإنسانية ﷺ وأن ندور في مدار الأسماء والصفات؛ لأنه سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(الأنعام:١٠٣)، لا تدركه الأبصار لأنه يتجاوز حدود كل شيء، فهو المحيط، والمحيط لا سبيل إلى الإحاطة به من قبل المُحَاط بهم في الوقت ذاته. لذا على الإنسان أن يعي أن لمعرفته حدًّا وماهيةً محددة، وأن يتعرّف على ما هو مرخّص به للجميع.

ويلفت الأستاذ النورسي رحمه الله انتباهنا إلى هذه الحقيقة السامية، أي الغاية من خلق الإنسان بقوله: "اِعلمْ يقينًا أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية، هو الإيمان بالله.. واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية، هو معرفة الله التي في ذلك الإيمان.. واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة، هي محبة الله النابعة من تلك المعرفة.. واعلم أن أصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجة لقلبه، هو اللذة الروحية المترشحة من تلك المحبة"[٢].. وهكذا جعل الأستاذ النورسي الذوق الروحاني غاية إلى جانب الإيمان بالله، ومعرفة الله، ومحبة الله، ولكم إن شئتم أن تسألوا هذا في الدنيا أو تؤخّروه إلى الآخرة، ولكن يجب أن نعرف أنّ تجلِّي الذوق الروحاني في نفوسكم، قد يدفعكم إلى المزيد من البحث والدراسة انطلاقًا من فكرة "هل من مزيد؟".

إننا إذا عرفنا الله تعالى بمثل هذا التعمّق المعرفي حقّ معرفته، فأحسب أننا سنُحسن تخطيط حياتنا، وسنسعى للسير في هذا السبيل، وسيُسيطر علينا شعورٌ بتبليغ ما عرفناه وشعرنا به للآخرين.. وأغلب الظنّ أن مثل هذا التعمّق المعرفي يقف وراء عشق سادتنا من الصحابة الكرام والحواريين الفخام لهذه المسألة.

أجل، كانوا يعرفون الله تعالى جيّدًا، ويشعرون به يقينًا، وبذلك تعمّق الإيمان في قلوبهم، فكان من نتيجة هذا أن أَثارَ هذا الإيمانُ شدًّا معنويًّا في داخلهم جعلهم يقولون: "كيف يمكننا أن نحدِّث الناس عن الذات الإلهية التي تتجلى وتدوّي بتجلياتها المختلفة في داخلنا".

وكلما استوعب الإنسان مع الإيمان بالله الأركانَ الإيمانية والأسسَ الإسلامية على ماهيتها الحقيقية، شعر بعلاقة حميمة تجاهها. فمثلاً، إذا شعر الإنسان بالشغف إلى معرفة قدر سيد العالمين صلوات ربي وسلامه عليه لدى ربه ﷻ، وإلى سبر أغوار الماهية الحقيقية التي تعبر عنها الرسالة المحمدية من أجل الإنسانية، فإنه يسعى إلى معرفته ﷺ معرفة تليق بماهيته الحقيقية، ومع الوقت يشعر الإنسان بأن النبي ﷺ صار مرشدًا يوجّهه في كل أحواله وتصرفاته.

أجل، بقدر معرفتنا أركان الإيمان والإسلام، يزداد فهمنا للانسجام والتناغم بين طبيعتنا وجماليات هذه الأركان. ومَن شعر بكل هذا في وجدانه توجه إلى ربه قائلاً: "إلهي فداك نفسي وروحي، لقد أحسنتَ إلينا بأن عرَّفتنا بك وبرسولك وإن كان بهذا القدر المعين، فلك الحمد آلاف المرات على كل هذا!"، ثم يعمل على التنقيب أكثر فأكثر في أرض المعرفة حتى تزداد معرفته. هب أنكم أدليتم دلوكم في بئر ما وأخذتم في سحب الماء، فإنكم كلما سحبتم من البئر تفجرت به ينابيع أخرى، وكلما فار الماء انتابكم شعور بالطرب والمرح، وهكذا يثور لديكم شعور غامر بالشوق والاشتياق، وتصبحون من أبطال: "هل من مزيد؟". ■

(*) جهود التجديد، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٧، القاهرة. ترجمة عبد الله محمد عنتر.

الهوامش

(١) الطبراني: المعجم الأوسط، ٦/٢٥٠؛ البيهقي: شعب الإيمان، ١/٢٦٢.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، المكتوب العشرون، المقدمة، ص:٢٧١.

د. أحمد تمام سليمان*

لحظة الحاضر مقدار ما نملك

الإنسان لا يملك من حياته إلا اللحظة الحاضرة، لكنه يضيّعها إما بتذكر ما فات، أو بتأمل ما هو آت.. فما فات بعيد لأنه دُفن في مقبرة الأسرار حيث النجاحات الملفتة والأفشال المخجلة، أما الآتي فمنه قريب ومنه بعيد أيضًا؛ قريبه ما كان للإنسان فيه بقية حيث سيقع ويحدث فيه ما يحوّله إلى ماضٍ، يضاف إلى خزانة الأسرار تلك فيصير بعيدًا، ومنه ما سيكون محالاً؛ وهو الذي يأمله الإنسان في قدوم غده أو يتأمله في أحلام مستقبله، فإما أن يقع الغد ويضِنَّ عليه بتحقيق الحُلْم، أو لا يقع الغد أصلاً.. فهو زمان ليس مقسومًا له أن يُضاف كعدد إلى عمره، ويكون الإنسان قد أفسد حاضره الواقع بالانشغال بمستقبله المتوقَّع.. فلا هو عاش حاضره واستمتع به، وأنَّى يعيش مستقبله غير المقسوم له؟!

فالغيوب الكبرى خمسة؛ يوم القيامة، ونزول المطر، ومحتوى الأرحام، ورزق الغد، ومكان الموت، الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان:٣٤)، وبتأمُّل الآية نلمس إفساد الإنسان حاضره المتيقَّن بانشغاله بمستقبله المظنون، ونسيانه جزاء الشكر على نعمة يرفل فيها، وجزاء الصبر على نعمة يتغيَّاها؛ لتناسيه غيب ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾، كما شيَّد دُورًا وقصورًا وحدائقَ وجسورًا، ونسي أن يعمِّر جَدَثًا يودِّعه فيه أحبَّاؤه.. وقد يطول فيه ثواؤه؛ لتناسيه غيب ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، فقد يموت بمشعر حج، أو بميدان جهاد، أو بسبيل سفر، أو بقاع بحر، أو ببطن حوت، أو بفكِّ سبع.. إلخ، وإما بأرض طاعة، أو بأرض معصية.

إن لحظة الحياة التي تتجلى فيها بذرتها الأولى في الكون، ليست إلا بيد الله الخالق البارئ المصور، كلحظة اهتزاز الأرض بالمطر استعدادًا لدبيب العافية فيها بالإنبات ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾، ولحظة إنبات نفس جديدة في القرار المكين ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾. وبما أن كل موجود مفقودٌ، وكل مخلوق هالكٌ، فجعل الله للكائنات موعدًا تقف فيه بين يديه، وصدَّر به الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾؛ لتكون براعة استهلالٍ في البدء بالحديث عن آخر ما يقع من الغيوب، حثًّا للإنسان على الحرص على حسن الخاتمة في الأمور كلها، والذي لا يتأتى إلا بالانشغال باللحظة الحاضرة، التي عاشها بيقينٍ وتحولت إلى ماض ضمَّ سجلَّه المشرّف، وإن كانت آخر لحظاته فلم يضيّعها بالتعلق بمستقبلٍ لم يُقسم له فيه عيشٌ.

والخلاصة.. كلُّ فائتٍ بعيدٌ لأنه بمضيّه خرج عن مِلْكِ الإنسان، وكلُّ آتٍ قريبٌ لأنه بوقوعه قصيرٌ كعمر الإنسان. فكلُّ مستقبلٍ غيبٌ قد يقع فيكون آخرًا لأناس لا مستقبل لهم بعده، ووهمًا إن عاشوا لحظة حاضرهم وانقطع عدد أنفاسهم وكانوا بالقادم متعلقين وليس لهم.. وقد يكون حاضرًا لأناسٍ ثم ينمحي بأن يبدده مستقبلٌ أحدثُ، ومهما يعمَّرون فستُستفرغ صفحتهم.

على الإنسان ألا يُستدرج بوهم الماضي ماثلاً في قوله "لو فعلْتُ كذا"، وألَّا يُفتن بوهم المستقبل ماثلاً في قوله "سوف أفعل كذا"، وأن يعيش اللحظة الحاضرة فهي مقدار ما يملك، مترددًا بين حالين؛ شاكر على موجود، وصابر على مفقود.

إذن على الإنسان ألا يُستدرج بوهم الماضي ماثلاً في قوله "لو فعلْتُ كذا"، وألَّا يُفتن بوهم المستقبل ماثلاً في قوله "سوف أفعل كذا"، وأن يعيش اللحظة الحاضرة فهي مقدار ما يملك، مترددًا بين حالين؛ شاكر على موجود، وصابر على مفقود.

وفي الحث على استثمار لحظة الحاضر في فعل الخير، وإن لم يمتدّ أثره في المستقبل، يقول النبي ﷺ: "إنْ قامت على أحدكم القيامةُ وفي يده فسيلةٌ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسَها فلْيَغْرِسْها" (رواه البخاري)، فبالرغم من قيام الساعة وانقطاع عمل الإنسان وما يترتب عليه من أجر، فإن الهدْي النبوي دفعه إلى استثمار حياته حتى آخر لحظة حاضرة فيها؛ ليختم حياته بخير وصلاح وإن لم تكن هناك سعةٌ لامتداد أثر عمله في قابل الأيام، فبقيام الساعة قد انتفى المكان والزمان اللذان يمثلان ظرفي العمل والأثر.

إن لحظة الحاضر -وإن بدتْ شفيفة- هي اللحظة الحقيقية في حياة الإنسان، فالماضي يطوِّف عليه خيالاً يتنسَّم منه الذكرى، والمستقبل يتراءى له خيالاً يتشوَّف منه الحُلْم؛ لذا كانت أعين الشعراء هي الأكثر انتباهًا في اقتناص تلك اللحظة، ومن خلالها استنباط حكمة الحياة وتسجيلها.. ويحسن بنا المقام أن نختتم بأبيات مختارة من قصيدة "مدرسة الحياة" للشاعر اليمني عبد الله البردوني، حيث يقول:

وَالْمَرْءُ لَا تُشْقِيهِ إِلَّا نَفْسُهُ
حَاشَا الْحَيَاةَ بِأَنَّهَا تُشْقِيهِ
مَا أَجْهَلَ الْإِنْسَانَ يُضْنِي بَعْضُهُ
بَعْضًا وَيَشْكُو كُلَّ مَا يُضْنِيهِ

hiragate.com

وَيَـظُـنُّ أَنَّ عَـدُوَّهُ فِـي غَـيْـرِهِ
وَعَدُوُّهُ يُـمْسِي وَيُـضْحَي فِيهِ
غِـرٌّ وَيُـدْمِي قَـلْـبَهُ مِـنْ قَـلْـبِهُ
وَيَـقُولُ: إِنَّ غَـرَامَـهُ يُـدْمِـيـهِ
غِـرٌّ وَكَـمْ يَسْعَى لِيَرْوِي قَلْبَهُ
بِهَـنَا الْحَيَاةِ وَسَعْيُهُ يُظْمِيهِ
وَلَـكَـمْ يُسِيءُ الْمَرْءَ مَا قَدْ سَرَّهُ
قَبْلاً وَيُضْحِكُهُ الَّذِي يُبْكِيهِ
مَا أَبْـلَـغَ الدُّنْيَا وَأَبْـلَـغَ دَرْسَهَا
وَأَجَـلَّـهَا وَأَجَـلَّ مَـا تُـلْـقِـيـهِ
كَـمْ آدَمِـيٍّ لَا يُـعَـدُّ مِـنَ الْـوَرَى
إِلَّا بِـشَـكْـلِ الْجِسْـمِ وَالـتَّـشْبِيهِ
قُمْ يَا صَرِيعَ الْوَهْمِ وَاسْأَلْ بِالنُّهَى
مَا قِيمَةُ الْإِنْـسَانِ؟ مَـا يُعْـلِيهِ؟
وَاسْـمَـعْ تُحَدِّثْكَ الْحَيَاةُ فَإِنَّهَا
أُسْـتَـاذَةُ الـتَّـأْدِيبِ وَالـتَّـفْـقِـيهِ
وَانْصِتْ فَمَدْرَسَةُ الْحَيَاةِ بَلِيغَةٌ
تُـمْـلِي الدُّرُوسَ وَجَلَّ مَا تُـمْـلِيهِ
سَلْهَا وَإِنْ صَمَتَتْ فَصَمْتُ جَلَالِهَا
أَجْلَى مِنَ التَّصْرِيحِ وَالتَّـنْـوِيهِ

ولقد اقتضتْ سنة الله في خلقه، أن تنتهي حياة الإنسان بالموت، ولعل انضباطه في حياته يكمن في عدم الغفلة عن حتمية تلك السنَّة الكونية، فيستثمر لحظته الحاضرة التي ما إن تنقضي فتسطر صفحة في كتابه، وألَّا يعلق قلبه بالمستقبل كثيرًا، فالمسوِّفون مستدرَجون بوهم الخلود؛ لذا كان الخطاب القرآني حول قضية الموت توجيهيًّا للبشر أجمعين، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّـقُوا يَوْمًا تُـرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٨١).

والتعبير عن الاستغراق بالمركَّب الإضافي ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، حيث تصدَّرَتْه لفظة (كُلّ= المضاف) التي تفيد الشمول والعموم، ولفظة (نفس= المضاف إليه) النكرة التي تفيد الشمول والعموم أيضًا؛ فيستغرق الخطابُ كلَّ نفسٍ كما يستخدم التكرار، فيتشابه صدر الآية ويختلف عجزها، في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَـفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُـوَفَّوْنَ أُجُورَكُـمْ يَـوْمَ الْقِـيَامَةِ﴾(آل عمران:١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَـفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْـنَةً﴾(الأنبياء:٣٥)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(العنكبوت:٥٧).

وقد يستغرق الخطابُ الظرفَ المكاني الذي يقلُّ هذه النفس الفانية، أيْ كلَّ مَنْ في الأرض، في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَـنْ عَلَيْهَا فَـانٍ ۞ وَيَبْـقَى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَـلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن:٢٦-٢٧)، وإن كان الاستغراق يشمل النفوس فإنه لا يستثني الأرواح، ويشمل أهل الأرض ولا يستثني أهل السماء، مما جعله يستغرق (كلَّ شيءٍ) التي هي أنكر النكرات، في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِـكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُـرْجَعُونَ﴾(القصص:٨٨)؛ لتتصف الذات العلية وحدها دون سواها بالخلود.

فمن العبث أن تتعلق ذات الإنسان الفانية بوهم الخلود، ومن الحكمة أن يعمد إلى حسن الخاتمة لرحلته الدنيوية، وفي هذا يقول الشاعر السعودي أحمد بن مصلح البركاتي:

تَـدَارَكْ مِنْ عُـمَـيْرِكَ مَا تَبَقَّى
فَـإِنَّ الْـعُـمْـرَ ذُو أَجَـلٍ قَـصِـيرِ
وَخُـذْ مِنْ هَـذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعًا
فَبَعْدَ الْمَوْتِ يَا طُولَ الْمَسِيرِ
جُدُودُكَ فِي التُّرَابِ قَضَوْا دُهُورًا
وَكُلُّ النَّاسِ فِي هَذَا الْمَصِيرِ
فَمِنْهُمْ مَنْ يُنَعَّمُ فِي جِنَانٍ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَلَّبُ فِي السَّعِيرِ
تَعَلَّقْ بِالرَّجَا وَلْتَخْشَ ذَنْبًا
وَلُذْ بِاللهِ ذِي الْفَضْلِ الْكَبِيرِ
وَسَلْ مَوْلَاكَ خَاتِمَةً بِخَيْرٍ
فَإِنَّ الْحَقَّ خَاتِمَةُ الْأُمُورِ. ■

(*) كلية الآداب، جامعة بني سويف / مصر.

hiragate.com

عبد الحميد محمد الراوي*

القرآن
في بناء الحضارات

١

استخلص الجادون من أهل العلم والبصيرة من نبع القرآن الفياض، قواعد وأركانًا أسسوا بها علومًا وأساليب أدبية متنوعة، تحوّلت فيما بعد إلى علوم مستقلة يدرسها طلاب العلم في أرجاء المعمورة. فاستلهم ابن عبد ربه والجرجاني قواعد النظم البلاغي وأسس الإعجاز الأدبي من بين طيات الحروف والآيات، كما اهتدى عمر بن الخطاب ﷺ ومن معه إلى أهمية علم التاريخ في التعرف على طبيعة الأحداث ومجريات الأمور، وأسس الطبري، وابن كثير، والرازي، وغيرهم، قواعد علم التفسير، واستخرج ابن خلدون من توجيهات القرآن وأحكامه الاجتماعية درر علم الاجتماع وأهم وظائفه ونظرياته.

كذلك استقى ابن سينا، وابن رشد، بديهيات الطب من الآيات الحكيمة، وانعكست مرآة العلم القرآني على أفئدة وعقول ابن الهيثم، والخوارزمي، وعمر الخيام، والبيروني.. فسطعت علوم البصريات والرياضيات والفلك في سماء الحضارة الإسلامية التليدة.

أدوات النهضة في القرآن

يرى الراصدون والدارسون للحضارات الإنسانية المختلفة، أنها ترتكز على ثلاثة عناصر رئيسية، هي الإنسان، والفكر، والأشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية)[1].

١- مكانة الإنسان في القرآن الكريم:

لقد حظي الإنسان في القرآن الكريم بقدر عال من التكريم والتعظيم والإجلال منذ لحظة خلقه الأولى وإلى يوم القيامة، ما دام مطيعًا لأوامر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾(البقرة:٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة:٣١)؛ فتبين الآيات مكانة الإنسان عند ربه حيث أمر الملائكة بالسجود له، ثم كرمه مرة أخرى عندما علمه الأسماء كلها وأمره أن يكون معلمًا للملائكة.. منزلة منحها الله لآدم عليه السلام ليثبت له الحق في التكريم والتقديم على الملائكة، لأن المعلم أفضل درجة عند الله من المتعلم، والمعلم صاحب فضل على المتعلم ومن ثم متقدم عليه.

ويرسم القرآن للإنسان الوظيفة الحضارية المنوطة به على الأرض فيقول: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:٣٠)، وقال أيضًا: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(النور:٥٥)؛ فاستخلاف الإنسان في الأرض الذي توضحه هذه الآيات، دليل على تفويض الله له لكي يكون خليفة الله، يضرب في أكبادها ويمشي في مناكبها ليستخرج ما يفيده في دينه ودنياه.

"وقد ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء.. فهو يتفنن ويبتدع، يكتشف ويخترع، ويجد ويعمل، حتى غير شكل الأرض فجعل الحَزَن سهلاً، والخراب عمرانًا، والبراري بحارًا، وولد بالتلقيح أزواجًا من النبات، وقد تصرف في أنواع الحيوانات كما يشاء، بضروب التربية والتغذية والتوليد، حتى ظهر التغير في خلقتها وخلائقها وأصنافها، فصار منها الكبير والصغير، ومنها الأهلي والوحشي.. هو ينتفع بكل نوع منها ويسخره لخدمته"[2].

وهذه المكانة التي مكنها الله للإنسان في الأرض ليكون خليفته فيها، ما كان له أن يتبوأها إلا بعد موافقة المشيئة الإلهية.

وتعلوا السمة الحضارية في هذا التفويض الإلهي للإنسان عندما يحسن استخدام هذا التفويض، ويحقق من استخلافه ما ينفع به نفسه، أو ينفع به الناس، وذلك عندما يلتزم الإنسان بمنهج الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين:٤)، لكنه يذل ويشقى عندما يرتكس ويطغى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾(التين:٥)، وهكذا يكون مقياس التحضر في القرآن؛ العمل الصالح الذي ينفع صاحبه، بل يمتد إلى الناس جميعًا إن أمكن ذلك، أما إن قدم الإنسان مستغلاً استخلافه في الأرض ما يسيء إليه أو يلحق الضرر ببني جنسه، فإنه يسقط إلى حيث يعيش من شابهه في الفعل أو القول -وهو أسفل سافلين- وإن ظهر ما قدمه على صورة اكتشاف جديد أو علم حديث، المهم أن غايته التي جاء من أجلها غير صالحة للبشرية، بل تفتك بهم وتحاول القضاء عليهم.

إن استخلاف الله للإنسان، يعدّ من أبرز الأسس القرآنية الحضارية، لأنه لم يستخلفه الله للفساد أو الإفساد، وإنما استخلفه للتعمير والبناء فيما ينفع لا فيما يضر.

٢- منزلة الفكر والتفكير في القرآن

كانت الفكرة الإسلامية هي التي أطلقت قطار الحضارة الإسلامية، وضمنت له التواصل في التاريخ، وكان الإنسان المسلم المعبأ بهذه الفكرة على يقين جازم ويحس أنه منبعث بها في التاريخ؛ "ليخرج بها الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد" كما قال

hiragate.com

ربعي بن عامر ﷺ في وجه رستم قائد الفرس.

كانت الفكرة وكان إنسانها هما اللذان أنجزا ميلاد الحضارة الإسلامية، ولقد واصل المجتمع المسلم بالفكرة تطورًا، وأكمل سبكة روابطه الداخلية بقدر امتداد إشعاع هذه الفكرة في العالم[٣].

ومن ثم ذهب العقّاد وغيره من الباحثين والعلماء، إلى أن التفكير فريضة إسلامية يجب على المسلم التحلي بها في مجالات حياته المختلفة، ليتسنى له حمل معالم الإسلام إلى غيره من الناس[٤].

أما العقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والرؤية، فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحيانًا، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى.. فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم، وسائر هذه الكلمات الذهنية التي تتفق أحيانًا في المدلول، ولكنها لا تُستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى.

ويورد العقّاد أكثر من ثلاثين آية يؤكد بها قوله منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢١٩)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(آل عمران:١٩١)، وقال أيضًا عن القرآن: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:٧). فالقرآن الكريم نوّع استخدامات العقل وعدّد مترادفاته؛ حتى يتحقق المسلم من أهمية وعلو صاحبه ومكانته في الإسلام. فإذا أخذ المسلم بمنهج العقل في قضايا دنياه حسبما يقتضيه القرآن ويوضحه، لم يلق الإنسان من ورائه إلا الخير ولن يضير أبدًا في دنياه.

أما إذا أهمل العقل ونظر إلى ما تهوي الأنفس، فإن مصيره سيكون مع الحمقى والمشركين والمفسدين، قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة:١٠٠)، وقال تعالى عن اليهود: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ

إن استخلاف الله تعالى للإنسان، يعدّ من أبرز الأسس القرآنية الحضارية، لأنه لم يستخلفه الله للفساد أو الإفساد، وإنما استخلفه للتعمير والبناء فيما ينفع لا فيما يضر.

يَعْقِلُونَ﴾(الحشر:١٤). وعاب القرآن على من غيّب عقله من عبدة الأصنام فقال: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(الأنبياء:٦٧).

وهكذا أعرب القرآن عن وظيفة العقل في استكشاف مخلوقات الله في الكون، حتى يتعقلها ويطوعها لذاته ولغيره من الناس.

هذا بالإضافة إلى أهمية تفضيله في قضايا الاعتقاد والإيمان، وعدم الاتباع الأعمى أو التقليد الساذج.. أما إذا وظف العقل أو التفكير في غير صالح الفرد أو الجماعة، بل تعدى ذلك إلى الضرر العام أو الخاص، فعلى صاحبه أن يعدّ نفسه من أصحاب السعير، لأنه لم يعقل ولم يفكر فيما يرضي الله ويرضي نفسه والناس من حوله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(الملك:١٠)، وذلك لأنه أشار في آية أخرى إلى أن التفكير الخاطئ يعد مكرًا سيئًا، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

٣- الأشياء وقيمتها الحضارية في القرآن:

لقد أنزل القرآن مخلوقات الكون منزلة سهلة من الإنسان، ليستطيع الحصول عليها أو التحقق منها، ومهّد له الاستفادة منها والغاية من وجودها ليتسنى له الوفاء بأداء الأمانة التي تحمّلها عن سائر المخلوقات، فقيمة الأرض -على سبيل المثال- في الإبداع الحضاري، قيمة لا تنكر، فهي مناط الزراعة ومناط الري، وهي بدرجة ما مرتبطة بالتصنيع، وبقدر ما يستطيع الإنسان استغلال الأرض الاستغلال الأمثل، وتطوير عطائها وتوجيهه، بقدر ما يستطيع إبداع حضارة إنسانية موجهة.

ومما يؤكد ذلك عشرات الآيات التي تحدثت عن الأرض والجبال والسماوات، والبحار والأنعام، قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا

hiragate.com

تَأْكُلُونَ﴾(النحل:٥)، وقال عن الأرض: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾(النازعات:٣١)، وقال عن النبات: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾(يس:٨٠)، وقال عن البحر واستغلال الإنسان له: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾(هود:٤١).

وتتعدد الآيات التي تلفت نظر الإنسان إلى المخلوقات التي ذللها الله له، ليعمل من خلالها عملاً صالحًا يستفيد به ويفيد غيره، ومكّن له في الأرض ليكون قادرًا على السعي، واستخراج الطيب من العيش من خلال العمل الصالح.

ولكي يصلح العمل، لا بد أن يصحبه الإيمان بالله تعالى، وهذه هي الميزة الحضارية الثالثة التي يراها القرآن من شروط النهضة الحضارية الحقة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾(فصلت:٣٣)؛ فالإيمان والعمل الصالح هما اللذان يبدعان الحضارة، وبهما تتحقق سعادة الإنسان على الأرض، كلما أبدى الإنسان ضربًا جديدًا من الهمة والنشاط والإبداع، ارتقى مدرجًا جديدًا من مدارج الحضارة التي يصنعها لنفسه ولبني جنسه من البشر.

فالإيمان بالله وتلقّي هدايته عن طريق رسله وأنبيائه، هو الكابح الذي ينظم المسيرة الحضارية، ويحفظ لها التوازن من الطيش والتعالي والتظالم، مما يجعل الحياة البشرية أكثر سعادة ورخاء وأمنًا[٥].

وفي ضوء ذلك، يستوجب على المسلم أن يربط الحركة أو العمل بالإيمان؛ حتى يصبح العمل عملاً، فيأخذ به أجرًا من الله ومن الناس، لأن الله عندما استخلف الإنسان في الأرض، وحثه على العمل الصالح النافع له ولبني جنسه، أراد بذلك استمرار المسيرة البشرية نحو الخير والصلاح، كي ينعم المجتمع البشري بالرخاء والاطمئنان. ولذلك فإن القرآن يعد الأرض من نعم الله التي أنعم بها على المجتمع البشري، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:١٠).

وهكذا أضفى القرآن على العمل صبغة الصلاح حتى يكون أساسًا حضاريًا، وركيزة أساسية تقوم عليها الحضارات البشرية.. أما إن تحول العمل عن مسار الصلاح، فإنه يصبح فسادًا يصيب من يقترب منه بأذى.

ومن هنا عاب القرآن على الذين إن تولوا وسعوا في الأرض لتدمير كل ما ينفع الناس فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥).

لذا فإن القرآن يسعى لحماية المنجزات الحضارية التي بناها الإنسان، ومنع العبث بها وتخريبها، بل إنه رفض أي محاولة لإعاقة المسيرة الحضارية للبشرية بجانبيها المادي والأخلاقي أو الروحي، لأن سلامة الجانب الأخلاقي وتنامي الجوانب الروحية في أي حضارة، هما اللذان يضمنان استمرار الحضارة وتقدمها في جوانبها المادية.

فعندما تضيع الأمانة والصدق في حضارة ما، وينعدم الإخلاص في العمل وينتشر الغش.. فإن ذلك يعد إيذانًا بانهيار تلك الحضارة، لأن الفساد الخلقي والروحي، من شأنهما حرمان الحضارة من نصف عناصر قوتها التي تضمن لها الحرية والانتشار[٦].

فالقرآن صاغ أسس الحضارة البشرية على مبدأ الخيرية والصلاح الشامل الذي يعود على الفرد والجماعة.

أما إذا تحول مسار هذه الأسس وأضحى ذلك وبالاً على الفرد والمجتمع، فإن القرآن يبرأ منها ويقوم على فاعلها بالعذاب الأليم ما لم يرجع أو يعود إلى مسار الخيرية التي ينشدها في أسسه الحضارية. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الهوامش

(١) تفسير التاريخ علم إسلامي، د. عبد الحليم عويس، ص:١٦٠-١٦١، دار الصحوة، القاهرة.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٦٠/١، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٣) شروط النهضة، ص:٦٨، نقلاً عن الدكتور عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي،ص:١٦٠.

(٤) التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة.

(٥) المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، سالم أحمد محل، ص:٥٥.

(٦) المرجع السابق، ص:٥٩-٦٠.

hiragate.com

د. خالد راتب*

كيميـاء الجمـال
بين المادية والروحية

"كـن جميـلاً تـر الكون جميـلاً" عبـارة ذات دلالات متعددة تجمـع في طياتها جمـال النفس، وجمال الباطن والظاهر، وجمال الكون. فهناك حاسة في باطن النفس تفطن للجمال وتحسه وتستجيب له؛ ولكـي يشـعر الإنسـان بحقيقيـة الجمال، فلا بـد أن يتوفر الجمال فـي ذاته وجوهره وفطرتـه. فالفطـرة الجماليـة إذا تركـت علـى أصلهـا وجبلتها، فإنها ستشـرق بنورها فـي جنبـات الكون، ويفوح عطرها، فيستنشـقه كل من يتعامـل معها. وصاحب هذه الفطـرة يصعـد بروحـه إلـى عليين في ملكوت السـماوات فيـزداد قربًا مـن الطبائـع الملائكية، غير أن هذه الفطرة الإنسـانية الجميلة تختلف عن الطبيعة الملائكية في أنها تتفاعل كيميائيًّا مـع مكونات الكون، فيراها الكون جميلة، وترى الكون جميلاً، وبذلـك تتـم الكيميائيـة الكونية في انسـجام وترابط وتلاحـم؛ وذلك لأن المكونات والجزيئات غير متنافرة، بل متوحدة ومتماسـكة، فتسـير الحياة في مسارها الجمالي في ظل نتاج هذا التعانق الجمالي بين الكون والإنسان، وتنزل السكينة على العالم كله، وتكون السعادة عنوانًا رئيسًا في حياتنا، فلا ترى عوجًا ولا أمْتًا.

إمـا إذا فسـدت الفطـرة وانحرفت واضطربت، فسـوف يرتد صاحبها إلى أسـفل سافلين، وساعتها يفقد كل عناصر الجمال في نفسه، وفي حياته وفي رؤيته وفكره، ويتلطخ بالطينية، ويفقد النفخة الروحية، فيشتم منه رائحة الكير التي تؤذي بقبحها كل مـن حولهـا.. ويـرى صاحـب هـذه الفطـرة المعوجـة الكـون مـن حولـه بصورة

الاقتصار في المفهوم الجمالي على الرؤية المادية، يؤدي إلى انعدام التوازن والانسجام في كل شيء، مما يحدث قصورًا ملموسًا في الحياة كلها، وبذلك يفقد الإنسان جوهر سعادته وسكينته بسبب غياب جانب الروح.

مغايرة تنبع من القبح القابع فيه، فيحدث التنافر الكيميائي بين هذه الفطرة وبين كل الموجودات.. وبذلك تتنافر الكيمياء الجمالية بسبب تنافر وتباعد مكوناتها وعناصرها وجزئياتها. وإن هذا التنافر الحادث بين الجمال الذاتي للإنسان والكون من حوله، سببه الرئيس فقدان الجمال الفطري أو فساده بما كسبت الأيدي، أو بسبب اضطراب في الرؤية الجمالية ذاتها. فالبعض تنحصر رؤيته الجمالية في الماديات، والبعض الآخر يحصرها في الروحانيات، وكلاهما بعيد عن الصواب ولا يحققان المعادلة الكيميائية الصحيحة للجمال؛ وذلك بسبب فقدان أحد عناصر المعادلة التفاعلية بين جمال النفس، وجمال الكون، وغياب المفهوم الحقيقي للجمال. فنحن لا نستطيع أن نصل إلى مفهوم الجمال الحقيقي إلا من خلال رؤية شاملة للعالم (الكون والإنسان والحياة)، كما أننا لا نستطيع تذوق الجمال إلا من خلال الرؤية المزدوجة التي لا تنظر إلى الجمال من طرف واحد (الطرف الخفي)، ولا تعتمد على النظرة المادية في رؤيتها الجمالية، ولا على الرؤية الروحية وحدها، بل لا بد من الجمع بين الرؤية المادية والروحية، رؤية الجسد والروح، لأن الاقتصار في المفهوم الجمالي على الرؤية المادية، يؤدي إلى انعدام التوازن والانسجام في كل شيء، مما يحدث قصورًا ملموسًا في الحياة كلها. وبذلك يفقد الإنسان جوهر سعادته وسكينته بسبب غياب جانب الروح، ذلك الجانب الذي يرقى بالإنسان إيمانيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا، ويستشعر النعيم والمتعة والجمال في كل لحظات حياته، حتى عند وقوع الاختبار والابتلاء، حيث يرى أن كل ما يصيبه في هذه الحياة بقدَر وحكمة من الله الجميل الذي يريد أن يرى جمال الرضا في قلب عبده. كما أن حصر مفهوم الجمالي على الرؤية الروحية فقط، يجعل الجمال حبيس المثاليات والمجردات بعيدًا عن الواقعية، فيصبح الإنسان منعزلاً حضاريًّا عن الكون الذي يعيش فيه، غارقًا في عالم افتراضي يكيفه كيف يشاء، وتتوقف عجلة الزمان بالنسبة له.. فالناس في تقدم ونهوض ورقي وهو هائم حول أحلامه وانسجاماته العاطفية الجرداء التي لا زرع فيها ولا ماء.

يقول العالم الفيزيائي جان أ. شارون: "إن كل المادة تصبح حاملة للروح، وكل محاولة لإقامة تصور علمي حتى ولو كانت محاولة البيولوجيا إذا ما أقصت حقيقة الروح، فإنها تصبح ملفقة ولاغية؛ لأن الموقف العلمي الحالي يقوم على التمسك بأحسن نموذج تقدمه الفيزياء، وهو النموذج الذي يقرّ بوجود الروح في كل جزيء من جزيئات المادة"، وهذه الحقيقة العلمية، هي حقيقة وجدانية كذلك. فلقد "أدرك القلب البشري منذ عهود بعيدة، حقيقة هذه الحياة السارية في الكون كله، وحقيقة اتجاه روحه إلى خالقه، بالإلهام الذي فيه، ولكنها كانت تغيم عليه وتتوارى عنه كلما حاول اقتناصها بعقله المقيد بتجارب الحواس. ولقد استطاع -أخيرًا- أن يصل إلى أطراف قريبة من حقيقة الوحدة في بناء الكون، ولكنه لا يزال بعيدًا عن الوصول إلى حقيقة روحه الحية عن هذا الطريق".

إن الجمع بين الرؤية المادية الحسية للجمال، والرؤية الروحية، بداية الانطلاق إلى إدراك الجمال الكلي المطلق، وبداية الانسجام مع الكون سمائه وأرضه هوائه ومائه ومع كل ذرة في الكون.. وبداية الانسجام مع الإنسان ككونه إنسانًا دون نظر لأي اعتبار آخر، والانسجام والرقي في الجانب الأخلاقي مع الكون.. وبذلك يكون الجمال بهذا المفهوم ليس إحساسًا باللذة الحسية الأرضية فحسب، وإنما هو إحساس صاعد نحو الأعلى مع النفخة الروحية التي منها بدأ.. فلا بد أن يتعامل الإنسان مع الجمال من خلال مكوناته جميعًا، عقلاً وروحًا وحسًا وجسدًا ووجدانًا. ■

(*) عضو في مجمع البحوث الإسلامية / مصر.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

النباتات
ومشاعرها التفاعلية

١ النبات كائن حي يتنفس ويمتص ويشرب.. وإذا قطعنا عنه الماء والسماد مات وهلك. لذلك لا عجب أن نجد بعض الأبحاث العلمية في علم النبات، تكتشف أن النبات لا يحس فقط، وإنما يرى ويسمع ويلمس ويتذوق ويشم بحساسية فائقة، ويستطيع أيضًا قراءة أفكار البشر. كذلك يستجيب النبات للموسيقى؛ فيفرح ويزدهر عند سماع الموسيقى الهادئة، وينزوي وينكمش عند سماع الموسيقى الصاخبة.

أحسن التعامل مع النبات

أثبتت الأبحاث أن النبات يفرح ويخاف ويضطرب عند اقتراب الشخص الذي أساء إليه في يوم من الأيام، والدليل على ذلك ما أكده أحد العلماء بعد إجراء تجربة حول إحساس النبات بالجو المحيط به، فقد استخدم جهاز يسمى "بوليجراف"، وقام بتثبيت قطبي الجهاز على سطحي ورقة سميكة من أوراق نبات الظل الموجود في حجرة مكتبه بواسطة رباط مطاط، ثم أخذ يسقي النبات بالماء، وبدأ يتابع حركة المؤشر في الجهاز، وكانت المفاجأة؛ فقد وجد العالم أن ذبذبة مؤشر الجهاز تطابق تمامًا رسم الذبذبات على إنسان يشعر بإثارة عاطفية ناعمة، مما يؤكد أن النبات يستجيب لريه بالماء ويشعر بالرضا والسعادة.

وقد حدث العكس عندما فكر العالِم في إيذاء النبات -مجرد التفكير فقط دون الفعل- فقد هم بأن يشعل عود ثقاب ويقربه من ورقة النبات، فوجد قفزة فجائية في ذبذبات المؤشر، مما يؤكد أن النبات استجاب لمجرد فكرة طرأت على عقل العالِم بإيذائه، بما يثبت أن النبات يتمتع بالقدرة على الإحساس والإدراك والاستجابة

لأفكار الناس من حوله.

والنباتات مثلها مثل الأطفال، تحتاج للرعاية الدائمة، فهي تنمو بالحب والحنان، وتأنس لوجود الإنسان، فيستجيب النبات للكلمات والحديث وينمو أكثر. ومن هنا يكون وجود النبات بجانب جهاز التليفون، هو أنسب الأماكن المقربة إليه، حيث تتاح له فرصة أن يشارك ويندمج في المكالمات التي تحدث بجواره. فالكلمة الطيبة الحلوة الموجهة للنباتات، يكون لها أثر السحر، فهي لا تقل عن السماد الذي يخصب النبات ويؤدي إلى ازدهاره.

والنبات حريص حرص الإنسان على استبقاء نوعه واستمرار جنسه والمحافظة على نوعه، فلا يقبل عضو التأنيث في أي نبات إلا حبوب اللقاح التي من جنسه، ولو استقبلت أية حبة لقاحًا غريبًا عن جنسها، لفظته في فترة لا تزيد على ربع الساعة، أي إن النبات وفيٌّ لجنسه.

إحساس النبات بالمشاعر الإنسانية

أُعلن مؤخرًا أن المحبة والكراهية لا تقتصر على الإنسان والحيوان، بل إن النباتات تشاركهم في المشاعر، حيث يعتقد البعض أن البصل والجزر صديقان حميمان، وأن رائحة كل منهما تستطيع طرد الحشرات الضارة. وهناك من يحذر من التفريق -مثلاً- بين الفول والخروع وإلا مات الاثنان، ولا تزرع الكرنب والكرفس متجاورين فقد يعلنان الحرب.

• كما أن لبعض النباتات علاقة حميمة كشجرة فول الصويا التي تحب أن تعيش مع الخروع، وتستطيع رائحة الخروع إبعاد الخنفساء التي تضر الفول.

• ويمكن لبعض النباتات تعزيز قدرة بعض النباتات الأخرى على النمو، كما يحدث بين شجرة الذرة الشامية والبازلاء، إذ ينموان بقوة إذا زرعتا في نفس الحقل. كما أن رائحة العنب بإمكانها أن تصبح أشد عطرًا في حال زرع البنفسج معه.

وهناك حالات عاطفية تصيب النخيل كما يؤكد ذلك كثير من المزارعين في منطقة المدينة المنورة، فهناك

hiragate.com

-مثلاً- النخلة العنيدة والنخلة العاشقة والنخلة التي لا يمكن التنبؤ بما ستثمر.

فالنخلة العنيدة في نظرهم، هي التي ترفض الإثمار، وعلاجها الوحيد التهديد والكي بالنار. أما النخلة العاشقة فنخلة تميل بجذعها إلى نخلة تجاورها، وتتميز أطرافها بالذبول ما عدا تلك التي في اتجاه النخلة المحبوبة، حيث تظهر في أطرافها رعشات دقيقة. وعلاج هذه الحالة مجرد ربطها بحبل غليظ مع النخلة المجاورة.

وقد لاحظ العلماء أن بعض النباتات تصرخ إذا تعرضت للعطش؛ فهي تصدر أصواتًا تشبه البكاء عندما تفشل في الحصول على الماء اللازم لنموها من التربة.

والطريف أن فريقًا من العلماء، ابتكر ساعة نباتية. فالنبات من أقدر المخلوقات التي تشعر بالوقت، وتتكون هذه الساعة من الزهور التي تتميز بنظامها الدقيق، فيستطيع الناظر إليها معرفة الوقت من خلال تفتح هذا النوع أو ذاك في وقت محدد من الليل أو النهار.

إدراك النبات ومشاعره في القرآن والسنة

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾(الحج:١٨)، ربما كان سجود النبات هو ميل الأوراق إلى الشمس إلى حين غروبها أو قد يكون سجوداً لا يمكن إدراكه.

وفي السنة النبوية:

• عن جابر ﷺ قال: "كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ (يعني في الخطبة)، فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل صوت العشار، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن".

وفي رواية، "فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق. وفي رواية، فصاحت صياح الصبي فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر" (رواه البخاري).

وفي بحث علمي نشر في المجلة العلمية الشهيرة Journal of Plant Molecular Biology، وجد فريق من العلماء الأمريكيين أن بعض النباتات الاستوائية تصدر ذبذبات فوق صوتية تم رصدها وتسجيلها بأحدث الأجهزة العلمية المتخصصة، وتحويلها إلى إشارات كهربائية -ضوئية بواسطة راسم الذبذبات (Oscilloscope) الذي سجل هذه النبضات فوق الصوتية تتردد لأكثر من مائة مرة في الثانية الواحدة. وقد اعتبرت هذه الذبذبات لغة خاصة بالنبات، وذلك لأن النبات كائن حي يسمع ويتحدث وينفعل ويتأثر بطريقته الخاصة، كما أثبتت ذلك أجهزة قياس الانفعالات في تجارب قياسية عديدة.

المزاجية لدى النبات

تتصف بعض النباتات بالمزاجية، حيث يمكن أن تتأثر بنوعية الماء والغذاء والبيئة كالإنسان والحيوان. فالنبات المحقون بمادة الكافيين، يظهر نشاطًا ملحوظًا، أما النبات المحقون بالكحول فيتمايل مثل الشخص المخمور. كذلك يستجيب النبات للموسيقى فيفرح ويزدهر عند سماع الموسيقى الهادئة، ويحدث لها انكماش عند سماع الموسيقى الصاخبة.

هل تشعر النباتات بالألم؟

هذا سؤال محير ليس فقط لأننا لا نعلم الكثير عن النباتات، بل والأهم من ذلك أن الأمر يتطلب مناقشة فلسفية لماهية وتعريف الألم. يعرّف الألم -مبدئيًا- على أنه "استجابة لضغط (كرب Stress) فيزيائي تهدف لتقليل هذا الضغط". وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن النباتات تمتلك استجابات خاصة للضغوط، فعند قطع إحدى أوراق نبات ما -على سبيل المثال- يتم إفراز مادة كيميائية تسمى الإثيلين (أحد الهيدروكربونات البسيطة) في صورة غاز ينتشر على جميع أجزاء سطح النبات، ويتحكم الإثيلين في استجابة النبات للضغوط، ويمثل ذلك إشارة للنبات لكي يقوم باتخاذ الخطوات المناسبة لتقليل الضغط.

وحسب آخر الاكتشافات العلمية، فإن النبات يتألم

hiragate.com

ويفرز مادة مسكنة. فقد شعر الباحثون العاملون في مركز مراقبة الأجواء الأمريكي بالدهشة، عندما اكتشفوا أن النباتات المريضة، تنتج مادة كيميائية شبيهة بالأسبرين، يمكن العثور عليها في الجو المحيط بالنبتة، ويمكن لهذه المادة أن تكون جزءًا من نظام مناعة تساعد على حماية النباتات.

فلا تتعجب يومًا إن أحسست أن ما حولك من نبات يغضبك أو يسكنك أو يفرحك أو يحزنك.

الدماغ النباتي

أشارت دراسة ألمانية سابقة إلى أن النباتات لها "دماغ" قادر على التفكير واتخاذ القرار، وهناك جملة عصبية وإشارات كهربائية يصدرها "الدماغ" وتنتقل لأجزاء النبات.

وتمكن العلماء من الكشف عن تركيبة جذور نبات الذرة أو ما يمكن وصفه بـ"الدماغ" بعد أن سادت طويلاً فكرة أن النبات كائن "غبي". وبدأ العلماء مؤخرًا في اكتشاف نوع من مراكز التحكم داخل الجذور، ويعمل بطريقة مشابهة للجهاز العصبي الحيواني، وينقل البيانات عبر إشارات كهربائية تتحرك بين الجذور والسيقان والأوراق.

وحتى وقت قريب، كان العلماء يستبعدون تمامًا احتمالية امتلاك النباتات لجهاز عصبي أو نوع من "الدماغ"، لكن يبدو أن نتائج الأبحاث غيرت تلك الفكرة التي سادت طويلاً.

ومنذ العصر الإغريقي، سادت الفكرة القائلة إن "النباتات غبية، فهي كائنات أولية، وتعد مرحلة بين الجماد والحيوان".

وفوجئ العلماء أيضًا عندما اكتشفوا منذ عشرات السنوات، أن للنباتات أيضًا جهاز مناعة يحميها ويمكّنها من مقاومة الأمراض، ليتأكدوا بذلك أن النباتات في الواقع كائنات حية تمتلك الكثير من القدرات.

ويؤكد الباحث "فرانتيسك بالوسكا" من جامعة بون، أنهم تمكنوا من اكتشاف أنشطة كهربائية في جذور النبات، كما وجدوا أن التركيبة البيولوجية للخلايا شبيهة بتركيبة الدماغ الحيواني. لكنه أشار إلى أن تلك الأبحاث ما زالت في بدايتها، ما يجعله من المبكر الحديث عن "دماغ نباتي". وأضاف أنهم يطلقون الآن على ما اكتشفوه لدى النباتات اسم "مركز التحكم".

وأخيرًا.. يعتبر النبات مملكة، وعالمًا قائمًا بذاته، فهو من العوالم العظيمة التي خُلقت بإبداع. فمنذ أن قام العلماء بدراسة عالم النبات، وهم يكتشفون خصائص وأشياء عظيمة تدل على قدرة خالقها وإبداعه الذي لا مثيل له. ويعتقد العلماء أن النباتات لها قدرة رائعة على التكيف مع البيئة حولها أكثر من البشر، وتستطيع التعامل مع الصعوبات التي تواجهها، وإنتاج أجيال جديدة مقاومة حتى تستطيع الحفاظ على نوعها.. والذي يبعث إلى الحيرة فعلاً كيف أن النباتات التي لم تُمنَح العقل، تنظر إلى إيجابيات مستقبلها، ونحن البشر الذين كرمنا الله على جميع مخلوقاته، ننظر إلى سلبيات الماضي والحاضر.

ويبقى السؤال: مَن الذي علم النباتات هذه التقنيات؟ ومن الذي سخر لها هذه الوسائل والقدرات؟ فهي تعرف ماذا تفعل، وتعرف كيف تدافع عن نفسها، وتعرف ما هي المادة الواجب إفرازها بما يتناسب مع حجم الخطر المحدق بها.. ويحتار العلماء من أين يأتي النبات بالمعلومات؟ وكيف يتمكن من إفراز المادة السامة؟ كل هذه التقنيات الدقيقة، كيف تعلمها النباتات ومن الذي زَيَّنها هذه الإمكانيات. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

المراجع

(١) إحساس النبات بالمشاعر وإدراكه البيئة المحيطة، مكتبة ألفا العلمية.

(٢) سلسلة أغرب من الخيال -كتاب النبات يحب ويتألم.. ويقرأ أفكار البشر، راجي عنايت.

(٣) للنبات عالم خاص تحكمه المشاعر، د. رقيه محمد طه متولي، مجلة نصف الدنيا.

(٤) موقع أسرار الإعجاز في القرآن والسنة، موقع عبد الدائم الكحيل.

(٥) وعي النبات، موقع ماوراء الطبيعة.

hiragate.com

بريان ترك*

جهازنا المناعي
وإستراتيجياته الدفاعية

جهازنا المناعي مُكلف بضمان سلامة أجسامنا، ومجهز على أعلى مستوى للتعامل مع التهديدات على مستويات مختلفة. يمكننا اعتبار نظامنا المناعي -المزود بإستراتيجيات دفاع محكمة لمطاردة الأعداء المتسللين مثل الكائنات الحية الدقيقة والطفيليات التي تأتي من الخارج من أجل هدم هذا النظام الدقيق- بأنه وحدة دفاع إستراتيجية حربية، تكون تحركات الدفاع والهجوم فيه على قدر كبير من الأهمية، لأن هذه المعركة ليست معركة بسيطة تحدث لمرة واحدة، بل إنها تتضمن العمل الدائم على جمع المعلومات وتطوير الأسلحة وتدريب الجنود.. باختصار، يجب أن يطور الجنود دائمًا أنفسَهم حتى يظلوا نشيطين في هذه المعركة دون أن يُقضى عليهم.

الجهاز المناعي الفطري غير المتخصص

يمكن اعتبار آليات الدفاع العام للجسم، والتي تسمى "الجهاز المناعي الفطري غير المتخصص"، خط الدفاع الأول للجبهة، الذي يمنع قبل كل شيء البكتيريا أو مسببات الأمراض الأخرى (العناصر المُمرضة) من دخول الجسم. يأتي في المقدمة جلدنا الذي يشبه جدران القلعة، ومن بعده يأتي المخاط والدموع واللعاب والأحماض التي يمكننا اعتبارها الزيوت الساخنة التي تُلقى على العدو من القلعة ضمن خط الدفاع هذا. فإن نقاط الدخول الحساسة والمفتوحة على الدوام مثل الجهاز التنفسي، مغطى بطبقة مخاطية سميكة ولزجة تقبض على مسببات الأمراض ليتم طردها من خلال العطس أو السعال. أما النقاط الحساسة الأخرى مثل العينين، يتم غسلهما باستمرار بالدموع، حيث يتم إنتاج الدموع في الغدد الموجودة فوق العينين، وتتدفق إلى أسفل بالقرب من الأنف لتوفر بيئة معقمة.

أما مسببات الأمراض التي تتمكن من اختراق خط الدفاع الخارجي هذا، فيتم التصدي لها بآلية تسمى الالتهاب. والغرض الرئيسي من الالتهاب، هو منع مسببات الأمراض التي تخترق الجلد، من الوصول إلى الدم. يبدأ الالتهاب كاستجابة فورية للخلايا المناعية (الأجسام المضادة) في الأنسجة المصابة. يمكن اعتبار هذه الخلايا المناعية "خلايا دورية" وتوجد في جميع أنحاء الجسم وليس فقط في الدم. بمجرد أن تواجه هذه الخلايا مستضدًّا غريبًا (البصمة الجزيئية لخلية أو فيروس)، يُطلق إنذار بدء الالتهاب.

هذا الالتهاب الذي يسبب الألم في المنطقة المتورمة، هو في الواقع خط دفاع مهم في هذه المعركة. ويحدث الالتهاب في منطقة اختراق الكائن الدقيق وتكاثره، نتيجة زيادة تدفق الدم نحو هذه المنطقة المصابة، والتي يبدأ فيها الضرر وهجوم الخلايا الآكلة للجراثيم التي تسمى الخلايا البلعومية وتخثر الدم مكان الخرق الجلدي. يحدث تخثر الدم بشكل سريع نسبيًّا، لأن عوامل التخثر غير النشطة موجودة بالفعل وما تحتاج سوى سحب الزناد فقط لتبدأ عملها. يمنع تخثر الدم في هذه المنطقة الخروقات الأمنية، ويحول دون دخول المزيد من الميكروبات المسببة للأمراض إلى الجسم. تنطلق الخلايا البلعمية وهي خلايا مناعية كبيرة جدًا، إلى مكان حدوث هذا التخثر وتلتقم البكتيريا التي تصادفها. كما يساعد زيادة تدفق الدم نحو المنطقة المصابة، على تسهيل وتسريع عملية دخول وسائل الدعم، مثل البروتينات المضادة للبكتيريا، وخلايا الدم البيضاء الأخرى. ومن ثم يكون هذا هو سبب الاحمرار والتورم والانتفاخ في المنطقة المتضررة.

نظام المناعة التكيفي المتخصص

إذا فشلت كل آليات الدفاع هذه، وتمكنت مسببات الأمراض من دخول مجرى الدم، فلن يكون أمام الجسم خيار سوى استخدام أسلحة أكبر وأكثر فتكًا، ووضعها في المقدمة. هذا النظام، الذي يمكن أن نطلق عليه "نظام المناعة التكيفي المتخصص"، ويُفهم من اسمه أنه نظام فريد من نوعه؛ حيث إنه يرصد العدو ويتعرف عليه، ويضع إستراتيجية تتكيف مع نوع العدو. كل مُمْرِض، لديه نقاط قوة ونقاط ضعف، فبعض هذه الأجسام الممرضة مقاوم للبروتينات المضادة للبكتيريا، والبعض الآخر مقاوم للبلعمة (الخلايا البلعمية التي تأكل الأجسام الممرضة وهي حية). في المواجهة الأولى على الجبهة، يجرب الجهاز المناعي التكيفي طرقًا مختلفة لتدمير العامل الممرض، و"يسجل" أكثر الطرق فعالية. ثم يخزن المستضد المحدد الفعال ضد هذا الميكروب. وبذلك يكون جهاز المناعة التكيفي في المواجهة الثانية، "يعرف" بالفعل هذه المرة ما يجب القيام به، ويقضي على العامل الممرض على الفور. يمكننا أن نوضح بشكل أكبر نشاط هذا الجهاز المناعي الذي يعتبر صاحب أفضل الإستراتيجيات الدفاعية في العالم.

هناك العديد من أنواع الخلايا المتخصصة في جهاز المناعة التكيفي، التي تم تأهيلها لعمليات مختلفة، مثل قوات الكوماندوز تمامًا. كل واحدة منها لديها واجباتها ومهامها الخاصة. فـ"الخلايا التائية (T) السامة أو القاتلة" مسؤولة عن تفتيت وتدمير البكتيريا. وهي

hiragate.com

تتميز عن الخلايا البلعمة في طريقة نشاطها. على عكس البلاعم، لا تعمل الخلايا التائية (T) السامة للخلايا من تلقاء نفسها، بل تبدأ في عملية القضاء على الميكروبات الممرضة بعد تحفيزها بواسطة خلية أخرى تُعرف باسم "الخلية التائية المساعدة". الهدف الرئيسي للخلايا التائية المساعدة، هو تحفيز الجهاز المناعي للرَدّ على الميكروبات المعادية أو قمع الاستجابة، مثل مفتاح التشغيل والإيقاف بالضبط. تتمتع هذه الخلايا التائية المساعدة بسلطة التحكم والقيادة، وبدون إفرازها، يكون الجهاز المناعي التكيفي معطلاً تمامًا، أي تتلاشى قوات الدفاع بالجسم ضد مسببات الأمراض.

تحتاج الخلايا التائية (T) السامة إلى تعريف نفسها بالخلايا الأخرى. وتتم عملية التعريف هذه بواسطة خلايا تقديم المستضد (APC's). عندما تجد خلايا تقديم المستضد APC's مستضدات أجنبية (بروتين أو جزء ينتمي إلى ميكروب) تركتها البكتيريا في الدم، فإنها تلتصق أولاً بأغشيتها، ثم تقوم بتسليمها إلى الخلايا التائية السامة، كما ترصد الشرطة المجرمين من ملصقات (مطلوب القبض عليه). من خلال ربط قطعة معرِّف الميكروب هذه بجسم الخلايا التائية السامة، تقوم أثناء الدوران في الدم بالتقاط الميكروبات التي تصادفها وتفحصها، وعندما ترى ملاءمة نوع المستضد مع العينة التي تحملها، فإنها تقتل تلك البكتيريا على الفور.

الاختلاف الثاني بين الخلايا البلعمية والخلايا التائية السامة، هو طريقة التخلص من العدو. على الرغم من أن الخلايا البلعمية تقتل البكتيريا عن طريق البلعمة، أي أكل البكتريا حية، إلا أنها تُدخل أنبوبًا رفيعًا أو بروتينًا على شكل أنبوب في غشاء البكتيريا، فتتدفق السوائل التي بداخل البكتيريا إلى خارجها، حتى تتقلص وتنكمش، إلى أن تجف وتموت.

بعد تعافي الجسم من المرض، يتم تدمير معظم المخلفات الجرثومية المنتشرة في الدم. ومع ذلك، يتم الاحتفاظ ببعض منها وتخزينها في الخلايا الليمفاوية البائية الذاكرة (B) بحيث يمكن استخدامها في المستقبل دون الحاجة إلى تكرار عملية التعرف عليها في هجوم جرثومي جديد. تشبه الخلايا البائية الذاكرة الأرشيف الخاصَّ بجهاز المناعة؛ لأنها طويلة العمر ومحفوظة في أعماق نخاع العظام. يتم الاحتفاظ بملف كل نوع من البكتيريا في هذه الخلايا، مزود بمعلومات كافية للتعرف والاكتشاف السريع عند حدوث هجوم جديد. فإذا ما واجه الجسم نفس النوع من البكتيريا مرة أخرى في المستقبل، فلن يضيِّع جهاز المناعة أي وقت في محاولة التعرف عليها. بعد التعرف السريع على الميكروب، تبدأ عملية الفحص دون أن يشعر بذلك، ويبدأ الجهاز المناعي في قتل الميكروبات دون إظهار أي أعراض للمرض. فإذا كان عدد الميكروبات منخفضًا، تنتهي العملية قبل أن نمرض؛ بينما إذا كان عدد الميكروبات أكثر مما تستطيع تحمله، فعندئذ تظهر على الإنسان أعراض المرض، وفي نفس الوقت يقوم الجهاز المناعي باستنفار جنود جدد من الوحدات الاحتياطية للانضمام إلى القتال في الدم. في الواقع، تشكل هذه الآلية المنطق الأساسي لصنع اللقاح؛ حيث يتم حقن أجزاء ميتة أو غير ضارة من الميكروبات في الجسم، ويتم تسجيل أجزاء الميكروبات الميتة المأخوذة مع اللقاح في أرشيف الخلايا البائية الذاكرة، فنواصل بذلك حياتنا بدون التعرض للمرض الذي يسببه هذا الميكروب.

خطط سرية ضد الجهاز المناعي

أثناء هذه المواجهات الطاحنة، تمتلك البكتيريا بعض الخطط والإستراتيجيات السرية ضد دفاعنا. فهي في النهاية أحياء أيضًا، وقد وهبها الخالق بعض القدرات الكامنة التي تزيد من أعدادها وتبقيها على قيد الحياة. إن السلاح الأعظم للبكتيريا في هذه العملية، هو قدرتها على تغيير مادتها الجينية دون التعرض لمشاكل خطيرة. في الواقع، إن تغيير المادة الجينية (DNA)، أي حدوث طفرة جينية، يمثل خطرًا كبيرًا للكائنات الحية مثلنا، من حيث التسبب في تغييرات وتشوهات هيكلية معيبة أو معطلة يمكن أن تسبب ضررًا بالغًا.

ونظرًا لأن البكتيريا كائنات وحيدة الخلية، فإن جميع أنظمتها موجودة داخل هذه الخلية المفردة. لذلك، فالاختلافات التي تسببها هذه التغييرات الجينية

hiragate.com

في هياكلها، قد تسمح لبعضها بامتلاك خصائص أقوى. على الرغم من أن كل البكتيريا عبارة عن خلية وحيدة مستقلة بشكل فردي، إلا أنها تستمد قوتها من اتحادها وارتباطها. على سبيل المثال؛ لنتخيل مجموعة من ١٠٠ نوع من البكتيريا، لكل منها جينات مختلفة: أثناء الإصابة، يحاول جهاز المناعة لدينا تدمير البكتيريا بتكتيك خاص (على سبيل المثال، الالتقام بالبلعمة)، إلا أنه إذا عملت إحدى هذه البكتريا على تغيير حمضها النووي واكتسبت جدارًا خلويًّا قويًّا وسميكًا، بهذه الطفرة الجينية الجديدة لحماية نفسها من تكتيكات نظام دفاعنا، فإن هذه البكتيريا تبقى على قيد الحياة بينما يتم تدمير ٩٩ من البكتيريا الأخرى. عندها تنقسم هذه البكتيريا وتتكاثر بعد ذلك، حيث تخلق ١٠٠ بكتيريا جديدة بجدران خلوية سميكة مقاومة للبلعمة. في هذه الحالة، يضطر جهاز المناعة لدينا، إلى إيجاد إستراتيجيات جديدة، للتغلب على دفاعات هذه الأنواع الجديدة من البكتيريا القوية.

تتعقد وظيفة جهاز المناعة لدينا وتصبح أكثر صعوبة أمام هذه التحفيزات والاستفزازات التي من شأنها تقوية البكتيريا وجعلها أكثر مقاومة. بمجرد فهم هذه الآلية، بدأ تجنب الإفراط في استخدام الأدوية المضادة للبكتيريا؛ لأن المضادات الحيوية تعمل على توفير الراحة المؤقتة للمريض، في حين أنها في الوقت نفسه تتسبب عن غير قصد في زيادة مقاومة البكتيريا. لذلك يجب تشجيع أجسامنا على النيل من هذه البكتيريا بوسائل الدعم النافعة المختلفة، مثل التغذية الصحية، والفيتامينات التي تجعل نظام الإعفاء صحيًّا وقويًّا، ولا ينبغي استخدام المضادات الحيوية إلا في حالة استنفاذ جميع الحلول.

على الرغم من أن البكتيريا ماهرة في الطفرات الجينية، إلا أن هناك مجموعة أخرى من الأعداء أكثر خطورة ومهارة منها، ألا وهي الفيروسات.

الفيروسات كائنات دقيقة جدًّا، لدرجة أن البكتيريا بجانبها عمالقة ضخمة. ونظرًا لصغر حجمها، فقد وضعت دراسات لسنوات حول ماهيتها، أهي من الأحياء أو جسيمات جزيئية صغيرة غير حية.. إنها أكثر مهارة للطفرات الجينية من البكتيريا مما يجعلها أكثر خطورة، لأنها تحمل فقط القليل جدًّا من المواد الجينية بدون السيتوبلازم. إنها قادة على التحول بسرعة كبيرة لدرجة أنه لا تتاح الفرصة لأجسامنا لإنشاء ملف ذاكرة لها. والأهم من ذلك، أنها لا تحتاج إلى التحفيز أو الاستفزاز لتقوم بعملية التحول الجيني، لأن الطفرة جزء أساس من دورة حياتها.

هذا هو السبب في أن نقص المناعة (ضعف الجهاز المناعي) من أسوأ أنواع الأمراض. ترتبط العديد من أوجه القصور المناعي بالوراثة والفيروسات. ويعتبر الإيدز (AIDS) من أكثر أمراض نقص المناعة سمعة سيئة على الإطلاق. يرمز الإيدز إلى "متلازمة النقص المناعي المكتسب"، ويحدث نقص المناعة عند البشر بسبب فيروس نقص المناعة البشرية (HIV). السبب في أن هذا الفيروس سيء ومخيف للغاية، هو أنه يستهدف الخلايا التائية المساعدة التي تحفز جهاز المناعة على العمل. بدون إفراز الخلايا التائية المساعدة، يتم إغلاق الجهاز المناعي التكيفي بالكامل تقريبًا. بعد ذلك، حتى أبسط الأمراض، يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة.

نظام المناعة لدينا مثالي للغاية ومعقد، ولديه إستراتيجية رائعة. ونحن مجرد مشاهدين في هذه المعركة، بل إننا حتى كمشاهدين لا نفهم تمامًا المعركة التي تدور في ساحة الجبهة، ناهيك عن الصراع الدائر في الزوايا المظلمة من الجبهة. يقوم جهازنا المناعي بتطوير إستراتيجيات جديدة لحماية أجسامنا من آلاف الهجمات اليومية. ونحن لا نعرف شيئًا عن كل هذه الإستراتيجيات والدفاعات إلى أن تفشل ونمرض. في هذه المعركة التي تتطلب قدرة ثابتة على التكيف واليقظة ودفاعات صارمة، قد يخسر الناس ويموتون أحيانًا، وأحيانًا قد تخسر الميكروبات وينتصر الجهاز المناعي. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر زغلول.

hiragate.com

د. خالد صلاح حنفي محمود*

علم النفس الإيجابي وسعادة الطفل

يعتقد الكثير من الناس أن علم النفس هو علم يتعامل مع المرضى وغير الأسوياء، ومع المشكلات الانفعالية، وهذا غير صحيح. فعلم النفس كما يؤكد كل من "مارتن سيلجمان" (M. Seligman)، و"ميهالي شيكزينتميهالي" (Csikszintmihali M)، ليس علمًا لدراسة المرض والاستسلام والانهيار والانهزام النفسي فقط، لكنه علم لدراسة قوى وفضائل النفس الإنسانية، وهو طريق ينبغي ألا ينحصر في إصلاح ما تم إفساده

في هذه النفس، بل يجب أن يسبق الإصلاح والعلاج النفسي، الوقاية والتنمية والتطوير.. فعلم النفس ليس علمًا طبيًّا ينصب اهتمامه على الصحة والمرض فقط، ولكنه علم يجب أن يتم بتطوير قوى الإنسان وفضائله، ليصير متفوقًا، وكُفُؤًا في معظم سياقات الحياة، كالعمل والتربية، ومراحل النمو والارتقاء، والإبداع، والاكتشاف.

وقد ركز علماء النفس على الأشخاص غير العاديين أكثر من اهتمامهم بالعاديين. فقد لفت انتباههم الذين يعانون من الاضطرابات واعتلال الصحة العقلية، وأهملوا الأصحاء والأسوياء. وساهم كذلك في هذا الاتجاه عودة أعداد كبيرة من الجنود المنهارين نفسيًّا من الحربين العالميتين، الذين كانوا في حاجة إلى التشخيص والعلاج النفسي. لقد اهتم علماء النفس بالمرض العقلي للإنسان وتعاسته وشقائه، وأنجزوا في هذا المجال أعمالاً جيدة.

إن علماء النفس، يستطيعون اليوم قياس الأفكار التي لها علاقة بالجوانب السلبية في سلوك الإنسان، مثل القلق والخوف والاكتئاب والانحراف والتطرف والعدوان والغضب والفصام، وغيرها من الاضطرابات النفسية والعقلية وجوانب السلوك اللاسوي، كما يستطيعون تخفيف وتحسين الكثير منها. ولكن هذا الإنجاز رغم أهميته، لم يصنع للإنسان حياة راقية، لأن تخفيف الأمراض التي جعلت حياة الإنسان تعيسة، جعلت صنع حياة تستحق أن يحياها الإنسان، أقل أهمية.

ويشير الباحثون إلى أنهم عندما راجعوا قاعدة المعلومات النفسية (PsychInfo) التي توثق ملخصات البحوث النفسية في الدوريات المختلفة بين عامي ١٩٦٧-٢٠٠٠، وجدوا أن هناك ٥٥٤٨ بحثًا نشر عن الغضب، و٤١٤١٦ عن القلق، و٥٤٠٤٠ عن الاكتئاب.. بينما هناك ٤١٥ بحثًا نشر عن الابتهاج، و١٧١٠ عن السعادة، و٢٥٨٢ عن الرضا عن الحياة، مما يعني أن هناك ٢١ بحثًا منشورًا عن الانفعالات السلبية، مقابل بحث واحد عن الانفعالات الإيجابية. لكن تَوجُّه البحوث النفسية تغير منذ ثمانينات القرن العشرين، فتضاعفت البحوث المنشورة عن السعادة والأمل والرضا عن الحياة، بمقدار أربع مرات؛ من ٢٠٠ بحث سنويًّا إلى ٨٠٠ بحث.

ومنذ عقد السبعينات من القرن العشرين، غير علماء النفس الاجتماعي اتجاهاتهم نحو دراسة السلوك الإيجابي، فقدموا أعمالاً نظرية وإمبريقية ظهرت بخطى سريعة. وفي عام ١٩٩٨ وضع "مارتن سيلجمان" السيكولوجي بجامعة بنسلفانيا الأمريكية، مصطلح "علم النفس الإيجابي" (Positive Psychology). ومنذ ذلك التاريخ زاد عدد البحوث التي نشرت في إطاره، وأصدرت مجلات خاصة به.

ويعد علم النفس الإيجابي من العلوم الجديدة التي لاقت كثيرًا من القبول والشعبية في إطار العلوم السلوكية والنفسية في السنوات الأخيرة، حين طالب عالم النفس "مارتن سليجمان" أعضاء الجمعية الأمريكية لعلم النفس، أن يتذكروا أن الهدف الأساس لعلم النفس هو بناء قوة الإنسان وتغذية موهبته، ودراسة مكامن القوة والفضائل الإنسانية كالسعادة والطمأنينة والأمل والاستقرار النفسي والتقدير الاجتماعي والقناعة، بهدف التغلب على الضغوط التي تؤدي بالإنسان إلى اضطرابات بالصحة النفسية، خاصة أنها تقع على الطرف الآخر لأكثر الاضطرابات النفسية شيوعًا كالقلق والاكتئاب واليأس وعدم تقدير الذات. ولإحياء ذلك المجال المهمل من علم النفس، ابتدع سليجمان هذا العلم الجديد (علم النفس الإيجابي) المعني بتعزيز البحث في السلامة النفسية ودعم القوة الإنسانية. كما يهتم هذا المجال باستخدام النظرية النفسية والبحث وأساليب التدخل لفهم جوانب الإشباع الإيجابية والتوافقية والإبداعية والوجدانية للسلوك الإنساني.. وهكذا اهتم المشتغلون في هذا العلم، بمراقبة عديد من طرق العيش المؤدية للنجاح.

ويرى علم النفس الإيجابي أن الخبرات التي نمر بها، تشكل شخصياتنا، وهي تتمتع بجوانب بعضها غير قابل للتعديل، وبعضها الآخر قابل للتعديل. وتتركز

hiragate.com

جهود علم النفس الإيجابي على إثراء القوى الإنسانية لتعديل هذه الجوانب، لكونها مدخلاً لتحقيق الشعور بالسعادة والرضا. وقد آن الأوان أن يسعى علم النفس إلى فهم الانفعالات الإيجابية، ويبني جوانب القوة والفضيلة، ويزود الناس بما يساعدهم على إيجاد ما أسماه أرسطو "الحياة الطيبة".

أبعاد علم النفس الإيجابي

يتضمن علم النفس الإيجابي ثلاثة أبعاد قابلة للقياس، وقائمة على مهارات يمكن تعلمها:

على المستوى الذاتي: يركز هذا العلم على الحالات الذاتية الإيجابية أو الجانب الوجداني الإيجابي، مثل السعادة، والسرور والرضا عن الحياة، والحب والقناعة، والأفكار البناءة حول الذات، والثقة وفعالية الانفعالات الإيجابية مثل الضحك وغيرها.

على المستوى الفردي: يركز علم النفس الإيجابي على السمات الفردية الإيجابية التي تظهر على النفس مع مرور الوقت، مثل الشجاعة والإصرار والأمانة والحكمة، والقدرة على تنمية الإحساس بالجمال، والوصول إلى مصدر الإمكانات الإبداعية، ودارسة السلوكيات الإيجابية والسمات التي تميز الشخصية.

على مستوى المجموعة أو المستوى المجتمعي: يركز على تنمية المؤسسات الإيجابية وتكوينها والمحافظة عليها، ودراسة بيئات العمل الصحية، وكيف يمكن للمؤسسات أن تعمل بصورة أفضل لدعم وإثراء جميع المواطنين المتأثرين.

وعلى هذا، فعلم النفس الإيجابي يهدف إلى دراسة وظيفية الإنسان الإيجابي، وازدهاره على مستويات متعددة تتضمن الأبعاد البيولوجية والشخصية والعلاقاتية والمؤسسية والثقافية والعالمية للحياة، ويعيد النظر في "الإنسان العادي" من أجل العثور على ما ينفعه ويصلح له وما يمكن تطويره.. فهو محاولة لتبني منظورات منفتحة فيما يتعلق بالإمكانات البشرية والدوافع والقدرات، أي إنه بحث في إمكان عمل ما ينبغي عمله مع قليل من المساعدة من أجل تحقيق الذات. ومن مجالاته، بناء

علم النفس ليس علمًا طبيًّا ينصب اهتمامه على الصحة والمرض فقط، ولكنه علم يهتم بتطوير قوى الإنسان وفضائله، ليصير متفوقًا في معظم سياقات الحياة، كالعمل والتربية، ومراحل النمو والارتقاء، والإبداع، والاكتشاف.

حراء

المجتمعات وإثراؤها والإبداع والتسامح، والتعاطف، والجوانب الوجدانية الإيجابية الأخرى المتعلقة بالرضا الوظيفي وتعزيز عمل نظام المناعة، ونماذج تنمية الشخصية الإيجابية، والتنمية طوال الحياة، والتأكيد على الإنجاز، والسمات الإيجابية وتذوق كل لحظة في الحياة، وعيشها كما ينبغي، وتقوية المزايا كطريقة لزيادة الشعور بالسعادة.

وجاءت نتائج دراسة "سليجمان" وزملائه على آلاف الأشخاص في الولايات المتحدة الأمريكية، وأثبتت أن البحث عن المتعة لم يسهم في تحقيق الرضا، بينما ساهمت الحياة الاجتماعية الثرية، والشعور بالارتباط في ذلك بصورة قوية جدًّا، وكان العامل الأقوى هو البحث عن معنى الحياة. كما اتضح أن المتعة يمكن أن تضفي حلاوة على الحياة مع وجود الشعور بالارتباط والمعنى العميق، حينها يكون العيش كاملاً بمعنى الكلمة. فالرضا عن الحياة يتحقق حينما تتواجد المتعة، والروابط الاجتماعية، والمعنى، والعكس صحيح. وأشار سليجمان إلى ما يطلق عليه الشعور بالتدفق، وهو أهم ما يحتاج إليه الإنسان ليعيش مزيدًا من الرضا في حياته. وحالة التدفق هذه تحدث عندما تنتشر قوى الإنسان ومواهبه لمواجهة التحديات التي تقف في طريقه، بما يعمق معنى الحياة ويسر التعلم.

علم النفس الإيجابي وسعادة طفل المدرسة

طالب "سليجمان" وزملاؤه بضرورة دمج علم النفس الإيجابي في المناهج الدراسية، وتعميم التعليم الإيجابي الذي يقوم على تعليم المهارات التقليدية، إلى جانب التعليم من أجل السعادة، وذلك لمواجهة انتشار الاكتئاب بين الصغار عالميًّا، وتراجع مستويات رضاهم

hiragate.com

عن الحياة. فالمدارس تمثل أماكن رائعة لتعليم الأطفال علم النفس الإيجابي، نظرًا لطول الفترة التي يقضيها فيها الطلاب، وإمكانية استخدام أساليب لتدريس السعادة والسلامة.. ويرى سليجمان أن هناك طرقًا تساعد على خفض اكتئاب الأطفال، تقوم على ثلاثة جوانب:

١- جانب يعتمد على إحصاء نعم الله وفضل الآخرين.

٢- جانب يقوم على تعليم الذكاء الأخلاقي، ومساعدة الناس على استخدام مواهبهم الأساسية وتطويرها.

٣- استخدام مداخل متعددة في مواد الدين والفلسفة والأدب ونظريات علم النفس القديمة والحالية، كنظرية الذكاءات المتعددة، ونظرية التعليم الوجداني لجولمان.

ومن التمرينات التي أجريت في المدارس لتحقيق التعليم الإيجابي، أن يذكر الطلاب ثلاثة أشياء جيدة تحدث لهم كل يوم، ويكتبوا تأملاتهم حول سبب حدوث هذا الشيء الجيد؟ وماذا يعني بالنسبة لهم.. وما هي الأشياء الإيجابية المتوقعة مستقبلاً.

ويعتقد الباحثون أن الطلاب بوسعهم تحقيق مزيد من الرضا في الحياة إذا تعلموا تحديد نقاط قوتهم، ودراسة السلوكيات والسمات الإيجابية، واستخدموها في المدرسة وفي الهوايات، ومع الأصدقاء والأسرة بقدر الإمكان.

ويركز علم النفس الإيجابي على تصميم برامج التدخل لتحقيق الأغراض والأهداف الإيجابية، وكيفية إثارة الدافعية عند الطفل، وعند الجماعة، وتغيير ثقافة المؤسسة والفرد. ومن ثم يمكن الإفادة من تلك النوعية من البحوث في تغيير قيم الطلاب كأفراد، وثقافة المدرسة، والتركيز على القيم الإيجابية البناءة، وإثارة دافعية الطفل نحو التعلم وتحقيق أهدافه فى الحياة.

وقد أثبتت دراسات وتقارير المعلمين وأولياء الأمور، أن برامج التعليم الإيجابي، قد حسنت قدرة الطلاب على التعبير عن شعورهم بالسرور في المدرسة، وتعزز لديهم مستويات الفضول وحب التعلم والإبداع. ووجود نتائج مشجعة فيما يتعلق بتعلم اللغات والمهارات الاجتماعية، كالتعاطف والتعاون وضبط النفس. ونتيجة لذلك اتجهت كثير من المراكز -كمركز علم النفس الإيجابي بجامعة بنسلفانيا- بتدريب المعلمين من أجل دمج التعليم الإيجابي في معظم المقررات الأكاديمية في مجالات مثل الرياضة والموسيقى. كما ساهم التعليم الإيجابي في تنشيط واكتشاف استخدامات مختلفة لخبرة التدفق داخل الفصل، مما يحسن من الاندماج والمزاج العام وخبرات التعليم، وأكدت الدراسات أهمية تشجيع بيئة المدرسة الإيجابية.

لقد آن الأوان لكي نركز على تطبيقات علم النفس الإيجابي في مجال ربط التعليم بالخبرات السعيدة والممتعة، والتركيز على الجوانب والقيم الإيجابية، وأن يتحول التعليم من التركيز على المعرفة كهدف أوحد، إلى التركيز على تحقيق سعادة الطفل، وجعل التعلم عملية ممتعة، وأن تصبح مدارسنا بيئات جاذبة للأطفال من خلال التركيز على إشباع احتياجاتهم الشخصية والاجتماعية، يمر فيها الطفل بالخبرات الممتعة، ويندمج فيها. ■

(*) كلية التربية، جامعة الإسكندرية / مصر.

المراجع

(١) أحمد محمد عبد الخالق، غادة محمد عيد (٢٠٠٨): حب الحياة ومدى استقلاليته أو ارتباطه بمتغيرات الهناء الشخصي أو الحياة الطيبة. دراسات نفسية، المجلد الثامن عشر العدد الرابع. القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية.

(٢) أحمد محمد عبد الخالق (٢٠٠٤): الصيغة العربية لمقياس "سنايدر" للأمل، دراسات نفسية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني. القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية.

(٣) أمينة التيتون (٢٠١٧): التعليم من أجل السعادة، مجلة العربي، العدد:٧٠٥.

(٤) بشير معمرية (٢٠١٠): علم النفس الإيجابي اتجاة جديد لدراسة القوى الفضائل الإنسانية، دراسات نفسية، عدد:٢، ٩٧-١٥٨.

(٥) محمد نجيب أحمد الصبوة (٢٠٠٨): علم النفس الإيجابي، تعريفه وتاريخه وموضوعاته، والنموذج المقترح له، مجلة علم النفس، العدد:٧٦، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

hiragate.com

د. هبة مهران*

مفاهيم جديدة لعلاج الاكتئاب

يبدو أن المفاهيم الطبية الجديدة، والاستخدام الأفضل للعقاقير والعلاج النفسي الخاص، قد فتحت آفاقًا جديدة لهؤلاء الذين يعانون من الاكتئاب في كثير من دول العالم. ففي الولايات المتحدة تجتاح الأوساط الطبية فرحة عارمة بعد أن بدت بالأفق هزيمة واحد من أهم الأمراض النفسية وأكثرها شيوعًا وأقلها فهمًا وهو "الاكتئاب"، فيقول "رودلف إيرنسنج" رئيس قسم الطب النفسي بولاية لويزيانا الأمريكية، بأن التقدم في علاج الاكتئاب، جعل المرض أقرب إلى الزكام في دائرة الأمراض النفسية.

لـم يعـد البوتكس المعـروف علميًّا باسـم "بوتولينيوم توكسـين" يسـتخدم فقـط فـي تجميـل الجلـد لإخفـاء التجاعيـد، فقـد أظهـرت دراسـة حديثـة وجـود علاقة بين البوتكـس ومنـع عضـلات الوجـه مـن العبـوس، الأمـر الـذي يـؤدي بالتالـي إلـى نجـاح فعاليـة الأدويـة المضادة للاكتئـاب، والسـبب في ذلك أن حقن الجلـد بالبوتكس، يمنـع إرسـال الإشـارات السـلبية (العبوس) من الأنسـجة العضليـة الوجهيـة، إلـى الدمـاغ، مما يسـاعد الأشـخاص الذيـن يعانـون الاكتئـاب، والذيـن لا يسـتجيبون للأدويـة المضادة للاكتئاب، في التماثل للشفاء.

لقـد أظهـرت الدراسـة أن المجموعـة التـي أعطيـت خمـس حقـن مـن البوتكـس فـي المنطقـة الواقعـة بيـن الحاجبين، قد انخفضت لديهم أعراض الاكتئاب بشكل ملحـوظ جـدًّا بنسـبة ٤٧٪ عمـا كانـت عليـه قبـل سـتة أسـابيـع. وهذا التحسـن اسـتمر لمدة ١٦ أسـبوعًا، وهي المدة التي أجريت خلالها هذه الدراسة.

وتاريخيًّا، فـإن هـذا المـرض أخـذ حظًّـا وفيـرًا مـن الشهرة، فقد عانى منه الرئيس الأمريكي الراحل "إبراهام لنكولـن"، وملكـة بريطانيـا "إليزابيث الأولـى"، والرئيس الإيطالـي "جيـو كشـنيو روسـيني". ولم يكن هناك شـفاء لهم طوال صراعهم لمقاومة مرض الاكتئاب الذي ينظر إليه على أنه مرض شامل للاضطرابات والأعراض التي تتنوع بين الحزن والإحساس بقلة الاحترام الذاتي وعدم القابلية للنوم، وفقدان الشهية.

ورغـم بقـاء أسـباب الاكتئـاب سـرًّا مجهـولاً، فـإن التشـخيص الآن يتـم طبقًـا لوسـائل حديثـة توضـح حالة الاكتئـاب بأسـلوب الطيـف الـذي تنـدرج أعراضـه مـن الحـزن إلـى انخفـاض التقديـر الذاتي، ومن حـدة الطبـع إلـى فقـدان الأمل، ومن ضعف الاهتمـام بالهوايات إلى النـوم المضطـرب، ومـن اضطرابـات الشـهية إلـى فقدان الطاقـة وصعوبـة التركيـز وهجـوم الأفكار السـوداء. وتختلـف أنـواع الاكتئـاب الذهنـي اختلافًا واسـعًا، ففي نهايـة تدرجهـا يوجـد أشـدها، وهـو ذلـك النـوع المزمن الـذي يأتـي فـي معظـم الحـالات مصحوبًـا بتغييـرات كيميائية شاذة في المخ.

لقـد توصلـت مجموعـة مـن الباحثيـن إلـى أن بعض حـالات الاكتئـاب الوراثـي، يعانـي أصحابهـا مـن نقص فـي بعـض خلايا المـخ، فيقول "جوزيف برايس" أسـتاذ المـخ والأعصـاب بجامعـة واشـنطن: "إن الاكتشـاف الـذي توصـل إليه بالاشـتراك مـع فريق بحثي، قد يؤدي إلـى اتبـاع طـرق جديدة لعلاج أنواع كثيـرة من الاكتئاب وتحديـد الاختلافـات والفـروق الجوهريـة بيـن مرضـى الاكتئـاب، الذيـن يؤكـد التاريـخ العائلي إصابـة أقاربهم بهذا المرض، وبين غيرهم من مرضى الاكتئاب".

كمـا أوضـح إمكانية تغيير أسـلوب العلاج والعقاقير التي تعطـى فـي مثل هـذه الحالات. وقد توصـل الفريق البحثي من خلال دراساته، إلى أن الأشخاص المصابين بالاكتئـاب الوراثـي، يعانـون من قلة نشـاط وفاعلية أحد أجزاء المـخ الموجودة في القشرة المخية الأمامية.

من الجدير بالذكر أن هذا الجزء لدى الإنسان، يصل إلى حجم ظفر الإبهام، ولكنه أقل حجمًا لدى المصابين بالاكتئاب الوراثي، ويوجد موقعه خلف منتصف الجبهة.

وقـد قـام "برايـس بمقارنة عـدد خلايا المـخ في هذا الجـزء، بيـن الأشـخاص الذيـن يعانـون مـن اضطرابـات الحالـة المزاجيـة والأصحـاء، فوجـد فروقًـا عديدة لدى كثيـر مـن المرضـى في عـدد مـن الخلايا المسـؤولة عن "الموصـلات العصبيـة" وعن إفراز "السـيروتونين" الذي يتحكم في الحالة المزاجية للإنسان. وقد أكد برايس أن هـذا العجـز في عدد خلايا المخ، يرتبط بالفروق الجينية التـي تجعـل بعـض الأشـخاص أكثـر اسـتعدادًا للإصابة بالاكتئاب من غيرهم.

إدماج علاجين

إن الاكتئـاب يبـدأ بالحـزن، وكمـا يقـول الدكتـور "كيث بـرودي" فـي جامعـة ديـوك الأمريكيـة: "نحـن لا نعـرف مـا إذا كان العقـل الـذي تجتاحـه الأفـكار الكئيبـة يعاني بسبب تأثير هذه الأفكار وقدرتها على إحداث التغيرات

hiragate.com

hiragate.com

الكيميائية البيولوجية، أم أن عدم التوازن الكيميائي في المخ، هو المتسبب في الاكتئاب الفكري".

استطاعت الرؤية الطبية الجديدة للاكتئاب، إدراك أن بعض السمات تبدو ملتصقة ببعض العائلات. وإن الدكتورة "ميرنا ويسمان" مديرة وحدة أبحاث الاكتئاب بجامعة ييل تقول: "إن الاكتئاب أمر عائلي، فإذا كان أحد الوالدين مكتئبًا، فإن احتمالات إصابة الأطفال بالاكتئاب تزداد من ضعفين إلى ثلاثة أضعاف. وإن كان الوالدان معًا مكتئبين، فإن الفرصة للإصابة بالمرض لدى الأطفال تزيد من أربعة إلى ستة أمثال".

وطبقًا للدراسات الأخيرة، تبين أن سنوات الذروة لاضطرابات الاكتئاب، تحدث ما بين سن ٢٥ إلى ٤٤، مع انحراف هام في تفشي المرض بعد سن الستين، إلا أن المرض قد يصيب الأطفال والناشئين.

ويوضح الدكتور "دونالد ماكينرو" في المعهد الإكلينيكي الأمريكي، أن الناس لا يريدون أن يواجهوا الحقيقة، وهي أن الصغار قد يصابون بالاكتئاب بدرجة يمكن التنبؤ بها، وحوالي نصف الصغار المصابين بالاكتئاب عندهم بواعث للانتحار، رغم أنهم عادة لا يحاولون ذلك حتى سن الخامسة عشرة.

يقول الدكتور "جودوين" من المعهد القومي الأمريكي للصحة العقلية: "أي شخص منا يمكن أن تظهر عليه أعراض الاكتئاب ليوم أو اثنين، كأن يقول أنا لا أستطيع النوم، أو أشعر بالأرق وعدم الراحة". ولكن ما يقرر درجة حدة الاكتئاب هو دوام الأعراض، فإذا استمرت لأكثر من أسبوعين، فليزم تقديم المساعدة للمريض بعرضه على طبيب متخصص.

ومع اتساع المجالات المتاحة لعلاج الاكتئاب، فإن الطبيب المعالج عليه أن يقرر الشكل العلاجي المناسب للمريض؛ إذ يوجد حوالي ٢٥٠ شكلاً مختلفًا من العلاج النفسي المتاح، بدءًا من العلاج السلوكي إلى التنويم المغناطيسي إلى العقاقير التي تحدث ردود فعل كيميائية في العقل، حيث تتوالد الاستجابات

أثبتت أبحاث علمية كثيرة أن الاكتئاب النفسي سبب ماشر ومؤثر على أفكارنا وقدراتنا المعرفية والذهنية، ويسبب وصف الأفكار بأنها سلبية فيما يخص المريض ومستقبله وماضيه ومن حوله.

العاطفية ويستغرق ذلك أسبوعين يبدأ بعدها المريض في التخلص من الاكتئاب.

إن العلاج السلوكي، مفهوم حديث نسبيًّا في علاج الأمراض النفسية، ظهر في منتصف السبعينيات، وفي نهاية هذا العقد بدأت تظهر الأبحاث العلمية في هذا المجال، وبدأ يحقق انتشارًا ونجاحًا ملحوظًا في علاج هذه النوعية من الأمراض.

العلاج المعرفي

والعلاج المعرفي هو الأحدث والأكثر تطبيقًا في مختلف الأمراض النفسية، ويعتبر الدكتور "أرون يك" والدكتور "ألبرت أليس" من أهم الشخصيات التي قامت بتطوير العلاج المعرفي. ومنذ بداية السبعينات بدأ استخدام العلاج المعرفي في أفرع الطب المختلفة غير الطب النفسي.

ويمكن تعريف هذا العلاج، بأنه نوع من العلاجات النفسية الحوارية أو الكلامية، وفيه يحاول الطبيب المعالج تعديل طريقة تفكير الشخص عن طريق التركيز على مشكلته الحالية، ومحاولة مناقشتها بينهما بطريقة موضوعية وحكيمة، مع مناقشة كافة الاحتمالات السيئة منها والجيدة، وذلك خلال عدد محدود من الجلسات العلاجية النفسية لا يزيد عددها عن ٢٠ جلسة.

وهناك طريق علاجي آخر قصيرالأمد ومؤثر، وهو العلاج النفسي الذاتي، حيث يقوم المرضى بتعلم كيفية تصريف الأمور في حياتهم الشخصية وتجاوز المحنة، مثلاً، عند فقد شخص عزيز بالموت أو الطلاق، والمجادلات العنيفة في العلاقات الزوجية، أو التغيرات الهائلة في الحياة، كالخروج إلى التقاعد أو رحيل أشخاص أعزاء من المنزل.

hiragate.com

إن العلاج السلوكي لحالات اضطربات الوجدان والعاطفة ومنها الاكتئاب، يعتمد على فرض أن الاستجابات العاطفية، والمشاعر ما هي إلا نتيجة للتفسيرات والمعاني التي تعطيها لنا خبراتنا.

ففرض الأفكار على قدراتنا الذهنية هي السبب المباشر للتفاعلات العاطفية، وقد يأتي الاكتئاب نتيجة لهذه الأفكار الذهنية والمعرفية. وهناك فرض آخر وهو أن هذه الأفكار المعرفية السلبية التي تميز مرض الاكتئاب، تكون نتيجة لهذا الاكتئاب نفسه وليست سببًا مباشرًا له.

وهناك أبحاث علمية كثيرة أثبتت هذا الأمر، وهو أن الاكتئاب النفسي سبب ماشر ومؤثر على أفكارنا وقدراتنا المعرفية والذهنية، ويسبب وصف الأفكار بأنها سلبية فيما يخص المريض ومستقبله وماضيه ومن حوله.

الجدولة والاستجابة

الفكرة الأساسية في معالجة حالات الاكتئاب، هي مساعدة المريض على إعادة برمجة أفكاره ومعتقداته السلبية، إلى أفكار مفرحة، وذلك باستخدام الواجب المنزلي لاختبار مصداقية هذه الأفكار وتفسيراتها. والواجب المنزلي يساعد على تجميع معلومات للمناقشة في جلسات العلاج، ويجب على المعالج قبل بدء العلاج، شرح ماهية العلاج والغرض منه.

العلاج المعرفي يمنح تعويضًا للأخطاء والغلطات التي يسببها التفسير الاكتئابي للأحداث، وهذا يتحقق أولاً بإعطاء المريض الطرق التي يستطيع بها معالجة التعامل والتكيف مع أعراض الاكتئاب. وأيضًا يجعل المريض مدركًا أنه يتسبب في حدوث هذه التفاسير بنفسه ويخطئ في حكمه على الأحداث بسبب الحيرة والاكتئاب.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية دور العلاج المعرفي في تقليل الإصابة بالاكتئاب، بمنع حدوث الاضطرابات البسيطة بالمزاج، التي تحدث اضطرابات معرفية جسيمة تؤدي إلى حدوث الاكتئاب. كما يتحقق ذلك أيضًا بعدم حدوث زيادة في التفكير السلبي أو الشعور بعدم المساعدة وانعدام الأمل.

وتشير دراسة للمعهد القومي للصحة النفسية بأمريكا استغرقت خمس سنوات، أجريت على ٢٤٠ مريضًا في ستة مراكز طبية لمقارنة نوعي العلاج، وهما الاتصال الشخصي والاتصال المباشر ومقارنتهما بالعلاج بالعقاقير على مرضى تم تشخيص حالاتهم على أنها اكتئاب شديد، إلا أن كثيرًا من المرضى لا يحتاجون إلا إلى معالجة نفسية، فغالبًا ما يرجع اكتئابهم إلى ضغوط بيئية أو أزمات في الحياة وهو ما يوصف بالاكتئاب المتفاعل.

ويؤكد العلماء أنه توجد في الأفق عدة اختبارات عملية للتشخيص، ففي جامعة ميتشجان قام الدكتور "برنارد سمارول" باستنباط اختبار يمكن بواسطته التعرف على المرضى ذوي الاكتئاب الحاد، الذين تولدت لديهم إفرازات هرمونية غير طبيعية.

وفي جامعة بنسلفانيا استخدم الدكتور "دافيد كوبريف"، التغيرات المختلفة في أنماط النوم، ليس فقط كعلامات على الاكتئاب، ولكن أيضًا للتنبؤ بكيفية استجابة المرضى للنوم. كما توصل إلى اختبار آخر يقيس إفراز مادة معينة في المخ لتمييز أنواع الاكتئاب والتخطيط للعلاج بالعقاقير.

في ظل الثورة الدوائية يأتي تطور العلاج النفسي في مقدمتها، ومع تباين التحليلات الفردية التقليدية، أصبحت العلاجات الجديدة عادة تستغرق وقتًا أقل من أربعة أشهر تقريبًا، كما أنها أكثر دقة، وتركز على ما يفكر فيه الشخص مع بعث المشاعر والخبرات المكتسبة من الماضي. ويأخذ المريض المعالَج دورًا نشطًا يهدف إلى التخلص من أعراض الاكتئاب وليس تغيير الأساس القاعدي للشخصية. ■

(*) متخصصة في علم النفس السريري والعلاج النفسي السلوكي / مصر.

hiragate.com

خلف أحمد أبو زيد*

الإنسان
وجوهر السعادة

نولد في داخلنا " توق طبيعي إلى السعادة، يظل معنا طوال العمر.. فكل إنسان منا ينشد السعادة، فهي أسمى هدف نسعى إليه جميعًا، أيًا كانت ثقافتنا أو أعمارنا أو درجة تعليمنا.. كلنا نريد أن نصبح سعداء، لكننا لا نعرف على وجه التحديد ما هي السعادة؟ كيف نمثلها؟ يقول الفلاسفة: إن كل شخص على وجه الأرض يمكن أن يكون سعيدًا، فالسعادة هي إحساس بالغبطة الحقيقية الطويلة الأمد، فهي ليست ضحكة طيبة، أو لهوًا قصيرًا أو سرورًا زائلًا، أو بضع لحظات هانئة نقيضها قبل أن نعود إلى الحياة القاسية فالسعادة شيء

مختلف عن كل الأشياء السابقة، فهي لا تذهب أو تجئ، السعادة باقية معنا بغض النظر عن الانفعالات اللحظية، فهي حالة من حالات الشخصية تبقى مع الفرد وهو يمر بشتى الانفعالات، إن وأنْتَ حاولت تعريفها قَلَّ نصيبك من فهمها، إنها كالكهرباء تُحَسُّ ولا تعرَّف، وكالموسيقى التي تشجو كل ما يتقن الناس من عرفانها شجوها، فهي موجودة في كل شيء وفي كل مكان، المهم أن نعرف كيف نستخرجها وكيف نستفيد منها.

عقاقير للسعادة

في عام ١٩٣١، نشر الكاتب "الدوس هكسلي" كتابه الشهير "عالم جديد شجاع" تخيل فيه العالمَ بعد ستمائة عام، وتنبأ بالكثير من الأشياء، منها عقار يحقق السعادة للإنسان. وما هي إلا سنين قلائل من نشر كتابه، وجد ما قد تنبأ به قد تحقق نتيجة النشاط المتزايد في علمين جديدين هما الوراثة وعلم العقاقير، بتخليق عقاقير تناغش آلية المخ الرهيبة، وتنتشل بعض المرضى من البؤس؛ لتجعلهم أكثر سعادة وانشراحًا وأسرع تفكيرًا، لكن سرعان ما اكتشف الإنسان مع تناوله لهذه العقاقير، أنه يجري وراء سراب اسمه السعادة، وأن هذه العقاقير ما هي إلا مظهر كاذب للسعادة الزائفة، الأمر الذي دفع "الدوس هكسلي" إلى وصف هذه العقاقير بأنها "بسمة بلا روح، سماء بلا سحب، كعكة بلا حشو، هذه السعادة الكاذبة، ألن تقطع الأواصر ما بين الفرد والمجتمع؟ ألن تخلق هواة واسعة بين الذات والواقع؟"

السعادة والمال

قد تتباين أهدافنا في بلوغ السعادة، فالبعض منا يراها في التعليم الأفضل، والصحة الجيدة، والرفيق الحبيب في الحياة، والوظيفة المرموقة، والوضع الاجتماعي المتميز، إلى أخر ذلك، لكن يبقى المال إلى حد كبير، هو أكثر الأهداف التي نجدّ في طلبها في بحثنا عن السعادة. وقد سئل كثيرون عما يعتقدون أنه يحسن نوعية حياتهم ويجلب لهم السعادة، وكانت الإجابة دائمًا مالًا أكثر، لم يطلبوا أصدقاءً أكثر، أو حبًا أكثر، أو وضعًا اجتماعيًّا أفضل، وإنما مالًا أكثر. إلا أن الدراسات والبحوث المتأنية في طبيعة السعادة، أثبتت أن تحقيق السعادة لا يرتبط كثيرًا بالمال أو غيره من العوامل الخارجية، حيث أجريت في ذلك العديد من الدراسات لعقود، نذكر منها مسحًا أجري على ٧٠ ألف شخص في ست عشرة دولة صناعية باستخدام استمارات استبيان قياسية، اتضح أن مستوى السعادة لا يتأثر إلا قليلاً بدخل الفرد، بل أكدت الدراسة أن متوسط دخل الألماني نحو ضعف دخل الأيرلندي، ومع ذلك كان الأيرلنديون أسعد من الألمان، كما كان البلجيكيون أسعد من جيرانهم الفرنسيين الأغنياء، أما اليابانيون وهم من بين أثرى شعوب العالم، فكانوا من بين الدول الأقل سعادة"[١]. وفي دراسة أخرى أجريت حول: هل الأغنياء في دولهم أسعد من مواطنيهم الفقراء؟ فقد أكدت الدراسة أن الأفراد الأثرياء يكونون في المتوسط أسعد ولكن بفارق ضئيل جدًّا. وقد أثبتت بحوث عديدة بعد ذلك، صحة هذه النتيجة، "إذا ما توفرت للفرد متطلباته الأساسية؛ الملبس والمأكل والمسكن والصحة، فإن أية إضافة للدخل لا تضيف إلى السعادة إلا القليل جدًّا"، وفي دراسة سيكولوجية ثالثة أجريت على ٢٢ شخصًا أصبحوا مليونيرات بضربة حظ، فقد أثبتت نتائج الدراسة أنهم ليسوا بأسعد من ٢٢ شخصًا طبيعيًّا آخرين، اختيروا عشوائيًّا للمقارنة، وخضعوا لنفس الدراسة، بل اتضح أن الوقائع اليومية التي كانت تسعدهم من قبل (مثل لقاء الأصدقاء ومشاهدة التلفاز، وسماع النكات والتسوق لم تعد تثير فيهم نفس القدر من السعادة، الأمر الذي يعني أن السعادة -لحد ما- نسبية، فالناس يقارنون على الدوام ظروفهم الحياتية بظروف من حولهم، وهم يتكيفون بسرعة مع الوضع الجديد فيشحب لديهم أثر الوقائع اليومية القديمة، وتطغى البهجة العارمة التي تصطحب الجائزة"[٢]. ونخلص من خلال عرضنا لنتائج هذه الدراسات، أن المال لا يحقق السعادة للإنسان على نحو ما يعتقد بعض المحرومين من نعمة الثراء، وإنه

hiragate.com

الشيء الوحيد الذي يعادله الناس خطأً بالسعادة، وإنما الذي يرتبط حقًّا بالسعادة، هو الروابط الاجتماعية المتينة وعلاقات الحب الطويلة، والشعور بالتفاؤل، والانشغال بعمل ذي معنى كالعقيدة الدينية، والتوحد مع قضية أو فكرة أكبر من ذات الفرد، تفسر هذه المتغيرات بعضًا من الفروق في السعادة بين الناس.

السعادة طاقة جوانية

والحقيقة التي يجهلها أغلب الناس، أن السعادة تنبع من داخل الإنسان، وهي غير موجودة في الخارج، فهي طاقة تخرج من داخل الذات الإنسانية، لتشع على الذات وعلى الآخرين، وتحول ما هو سلبي إلى طاقة إيجابية. إن الإحساس بالسعادة يتوقف علينا نحن وعلى مدى استعدادنا للابتهاج بالأشياء وتقديرها حق قدرها، وليس على هذه الأشياء نفسها أو على العوامل والمؤثرات الخارجية. يقول في ذلك الشاعر الإنجليزي "جون سميث": "إن السعادة مزاج نفسي، إذ هو جاءها لم تعرف ما الشقاء". وبالفعل بدأ الاهتمام بدراسة هذه العوامل الداخلية الغامضة، وأثبتت النتائج التي جمعت على مدى سنين طويلة، أن المزاج يخضع للوراثة، وأنه ثابت على المدى الطويل، وأنه يؤثر على السعادة، قد تدفع تصاريف الحياة الناس مؤقتًا إلى البهجة أو إلى الاكتئاب، لكنهم يعودون دائمًا بسرعة إلى مزاجهم الطبيعي. ويبدو أن المزاج الطبيعي ينبع

إن السعادة تخرج الذات من القوقعة والانغلاق الذاتي إلى التواصل والانفتاح على الوجود الخارجي أو الوجود للآخر، أي إن الذات تصبح لديها قدرة على التعامل والتفاعل مع الآخر ومع الوجود المحيط بها.

دائمًا من الداخل لا من الخارج، ومما يؤكد على ذلك. فقد جرى مسح واسع النطاق، شمل ما يقرب من سبعة آلاف من الرجال والنساء، وأعيد المسح ثانية بعد عشر سنوات على نحو خمسة آلاف منهم، واتضح أن الأسعد اليوم هو الأسعد بعد عشر سنوات على الرغم من التقلبات اليومية، والشخص المتحمس عاشق النكتة في سن الخامسة والأربعين سيكون هو الشخص المرح المتحمس عاشق النكتة في سن الثمانين.. كما درس المسح بوجه خاص بعض من تعرض لتغيرات حادة في حياته، كالطلاق مثلًا أو موت عزيز أو تغير الوظيفة أو الإحالة إلى المعاش أو الهجرة.. لم يكن لهذه التغيرات أي أثر على سعادة هؤلاء على المدى الطويل"[٣].

جماليات السعادة

وللسعادة جماليات قد لا يشعر بها إلا من أحسها، وهذه الجماليات هي:

السعادة تعطي للحياة معنى: وأولى هذه الجماليات أن السعادة تعطي لحياة الإنسان معنى، ذلك أنه كلما

hiragate.com

كانت الحياة مليئة بالأهداف والغايات والمثاليات النبيلة، هنا نقول إن الحياة تتسم بالسعادة، أي إن وجود المهام والغايات النبيلة، كل ذلك يجعل الذات تشعر بالسعادة، إذ من جماليتها أنها دليل قوي على وجود المعنى والقيمة في حياة الإنسان، سواءً الخاصة أو العامة، وهذا ما وضحه الفيلسوف المعاصر "تاديوس ميتز" بقوله: "لا يمكن أن يكون لحياة الإنسان معنى إلا إذا كان لديه درجة معينة من الإحساس بالسعادة، ولا يكون غارقًا في الإحباط لدرجة تمنعه من مغادرة الفراش"[٤].

انفتاح الذات على الآخر: ومن أهم جماليات السعادة، أنها تجعل ذات الإنسان منفتحة على الآخرين، بمعنى أن السعادة تخرج الذات من القوقعة والانغلاق الذاتي إلى التواصل والانفتاح على الوجود الخارجي أو الوجود للآخر، أي أن الذات تصبح لديها قدرة على التعامل والتفاعل مع الآخر ومع الوجود المحيط بها، هذا الانفتاح الذي يجعل الذات ترى ما لم تره في حالة عدم السعادة. فمع السعادة يصبح لدى الذات القدرة على أن ترى الوجود والأشياء بشكل جديد، ويصبح تعاملها مع الآخر مختلفًا عما لو كانت في حالة تقوقع أو إحباط أو اكتئاب أو حزن.

شعور الذات بالرضا: ومن جماليات السعادة، أن تشعر الذات بالرضا النفسي، حيث إن هناك علاقة وثيقة بين الشعور بالسعادة والشعور بالرضا، فإذا كانت الذات سعيدة، فإننا نجد لديها قدرة عالية على الرضا، فالذات الراضية نجدها تحس السعادة، وقد عبر عن ذلك أحد الفلاسفة بقوله: "أي تصبح حياة المرء سعيدة إذا كان راضيًا عن حياته، وتعيسة إن لم يرض عنها"[٥].

السعادة تولد الطمأنينة: ومن جماليات السعادة أيضًا، الشعور بالطمأنينة، ونلمس ذلك جيدًا في سلوك المتصوفة والعباد، حيث نجدهم دائمًا متحررين من مخاوفهم الدنيوية، لماذا؟ لأنهم تخلوا عن كل ما يقيدهم ويكبلهم في الواقع، بمعنى آخر لا شيء يملكهم أو يسيطر عليهم، فالسيطرة والامتلاك هي سبب الخوف والقلق والشقاء، ومن ثم تغيب السعادة، لكن عندما يتحرر المرء من كل ذلك، يصبح بلا قيود، يصبح حرًّا. فالذات مرتبطة باللامحدود بعد أن تخلصت من المحدود، وهنا تأتي السعادة وتتحقق الطمأنينة التي هي من أسمى غايات الإنسان في الحياة. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الهوامش

(١) علم اسمه السعادة، د. أحمد مستجير، سلسلة الثقافة العلمية، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:١٦-١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الإنسان ومفهوم السعادة، د. حسن يوسف، مجلة الهلال، العدد:١٥٠٩، نوفمبر ٢٠١٨.

(٥) علم اسمه السعادة، مصدر سابق.

hiragate.com

العربي السيد عمران*

قلب النور

هدية إلى كل قلب يهرع إليه الناس في ظلمات حاجاتهم يلتمسون عنده النور.

كُرُبَاتٌ هاجَتْ مضْجَعَهمْ ... فأَتَوا بالغوثِ لتَسْمَعَهمْ
مَنْ بَسَطُوا عنْدَكَ دمْعتَهمْ ... لتُقيلَ اليأسَ وترْفعَهمْ
في فزَعٍ حَمَلوا كَسْرتَهمْ ... كي تجْبُرَها لطْفًا مَعَهمْ

* * *

إنّي أعلمُ أنّكَ عاني ... تكْتُمُ أنّاتِ الإذْعانِ
مصْحوبٌ بمَشاغلَ تتْرَى ... مسْحوبٌ نحْوَ القِيعانِ
نفسُكَ في أحوالكِ حَيْرَى ... عانَيْتَ وما زلتَ تُعاني

* * *

لكنْ قَدْرَكَ يا ذا الهِمّةْ ... أنّكَ قَلبٌ يَعْدلُ أمّةْ
أنتَ القِبْلَةُ في الحاجاتِ ... بهداكَ الدّنيا مُؤْتَمّةْ
أنتَ النُّورُ لدَى اللّجاتِ ... بضيائكَ تنْكَشِفُ الغُمّةْ

* * *

من عَزْمكَ تجْري الأقلامُ ... تنْبضُ بالأملِ الأحْلامُ
فانْسَ هُمومَكَ واسْمعْ مِنْهمْ ... كَفُّكَ تَحْنانٌ وسَلامُ
اجْبُرْ خاطرَهُمْ سَلْ عنْهمْ ... واحْتملِ اللومَ إذا لاموا

* * *

جَبْرُكَ إخلاصٌ وصَفاءُ ... وهو لجُرْحكِ أنتَ شِفاءُ
أهْلُ النّجْداتِ مَعَ المَدَدِ ... لظلالِ الخَيْراتِ أفاءُوا
وصلاةُ خُطاهُمْ للأبَدِ ... أمنٌ وصَلاحٌ ووفاءُ

(*) شاعر وأديب مصري.

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

سكرتير التحرير
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني
أحمد شحاته
محمد أشرف

مسؤول التوزيع
علاء الكوابري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-86

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave.، Clifton، NJ، 07011، USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+2 01094338182

قيم التسامح والجمال
في فكر الأستاذ فتح الله كولن

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com |
00201023201002
www.souq.com
مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز

ISSN 2357-0229 86
9 772357 022004
www.hiragate.com